يوم في حياة عبد الكريم قاسم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1690) السنة السابعة

الاثنين (4) كانون الثاني 2010

4

من هو .. حسون الأميركي ..؟

10

في ذكرى وثبة كانون عام 1948

ماذا حدث بالعراق في تلك الأيام من عام 1941 ؟

لندع التاريخ يقهقه – او يتقيأ الدم – وهو يكرر نفسه..
لاشك ان ثمة فارقا في التفاصيل ولكن الم يقل "ارنولد توينبي": "ان روح التاريخ هي التي تظل على قيد الحياة"؟
نستعيد تلك الأحداث المثيرة التي حصلت وادت الى الانتفاض ضد القوات البريطانية التي حاولت ان تستغل ظروف الحرب العالمية الثانية لتبسط سيطرتها على العراق مع وجود وصي على العرش الذي لم يتورع عن الاختباء بين رجلي الوزير المفوض الاميركي وزوجته حين هرب من القصر الى قاعدة الحبانية لتنقله طائرة بريطانية الى البصرة التي فوجئ بان حاميتها تقف بشراسة ضد الاحتلال.
ولكن الم يفاجأ "رشيد عالي الكيلاني" بان القادة الذين اتفق معهم على الدفاع عن بغداد لاطول مدة ممكنة (قبل قرار الانتقال الى كركوك) استقلوا سياراتهم وفروا باتجاه الحدود مع ايران التي قبلتهم كلاجئين سياسيين بعدما جردتهم من اسلحتهم.

الوصي على العرش يختبأ داخل سيارة السفير الأميركي

د. عصام الجنابي

كان الضغط البريطاني قد بلغ مداه في عام ١٩٤٠ من اجل حماية العراق على الدخول في الحرب كظهير لـ "ونستون تشرشل" ومثلما ارغمت حكومة العميد "طه الهاشمي" على قطع العلاقات مع المانيا طلب منها ان تقطع علاقاتها مع ايطاليا وفي ضوء تطورات متلاحقة كانت خلالها الطبقة السياسية في البلاد قد انقسمت الى قسمين قسم مع الانجليز وقسم ضدهم اجتمع في ٢٨ فبراير ١٩٤١ أي بعد تاليف تلك الحكومة باربعة اسابيع وفي دارة المفتي "امين الحسيني" في شارع الزهاوي المقابل للبلاط الملكي سبعة من كبار القادة اتخذوا لهم اسماء مستعارة: "مصطفى" (المفتي الحسيني)، "عبد العزيز" (رشيد علي الكيلاني) "احمد" (ناجي شوكة) "رضوان" (صلاح الدين الصباغ) "فرهود" (يونس السبعاوي) "بجم" (فهمي سعيد) "فارس" (محمود سلمان) واقسموا على ان يفعلوا ما في وسعهم "لانقاذ البلاد العربية من براثن الاستعمار وتحقيق استقلالها".

المجتمعون خرجوا بالاتفاق التالي:
"لما كان الانجليز قد اقدموا بتشجيع اذنابهم على فرض مطالب مجحفة تتوخى زج العراق في الحرب العالمية الثانية وارغام باقي الاقطار العربية على السكوت وعدم المطالبة بحقوقها فان عزم "طه الهاشمي" على قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا بصورة فجائية ودون استشارة المجلس النيابي او الجيش لن يرضى الانجليز ولن يقعدهم عن تحقيق غاياتهم كاملة فهؤلاء سيعملون على اقصاء قادة الجيش المخلصين ليسيطروا عليه ومن ثم ينقاد العراق لهم كما يشاؤون على ان قطع العلاقات مع ايطاليا يعتبر في حد ذاته خطوة كبيرة نحو ما يريده الانجليز من اخضاع العراق والازمة العربية ومن شق الجيش العراقي على نفسه والحط من قوة "طه الهاشمي" وسمعته ويصبح "طه" بعد قطع العلاقات امام امرين ان يرضخ للانكليز ويلبي مطالبهم كاملة او ان يرغمه الوصي (عبد الاله) على الاستقالة كما ارغم "الكيلاني" من قبل ولما كانت المسالمة من طبع "طه" عبث بحقوق الامة...".

اعوان نوري السعيد

وقرر المجتمعون اتخاذ التدابير التالية:
١. المحافظة على الوضع الراهن والتمسك بالمعاهدة العراقية – الانكليزية – التي قررت ما لنا وما علينا.
٢. التوسل بجميع الحجج المقنعة لحمل "طه الهاشمي" على العدول عن رأيه والانتظار ثلاثة اشهر اخرى ينجلي بعدها الموقف العالمي وتبين الحالة الواقعية.
٣. اذا كان لا بد من قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا والموافقة على مطالب الانجليز فورا فليوافق على ذلك مجلس نيابي حر يمثل رأي الامة الصحيح لا استنادا الى رغبة الوصي وقرار مجلس الوزراء فحسب.
٤. لما كانت الاكثرية في مجلس النواب الحالي لا تمثل الامة ولما كان اغلب اعضائه من المرتزقة الذين عينهم "نوري السعيد و"جميل المدفعي" و"علي جودت" تعيينا فمن الواجب حل المجلس وفسح المجال لانتخاب مجلس نيابي جديد يمثل الامة تمثيلا صادقا ثم تعرض عليه طلبات الانجليز.
٥. لما كان "نوري" و"جميل" و"جودت" هم دائما وابدا سبب الخلاف واراقة الدماء فمن الواجب تعيين "نوري" سفيرا في اميركا و"جميلا" في مصر و"جودت" في سفارة غيرها انقاذا للبلاد من عبثهم ابان الحرب المحاصرة وتحقيقا لسلامة الانتخابات النيابية.
٦. لما كان الوصي غير مسؤول امام القانون مع ذلك يواصل القيام بنشاط مخالف للدستور ويأتي بتصرفات ديكتاتورية على غرار تصرفاته التي اودت بوزارة "الكيلاني" ولما كانت التجربة قد اثبتت ضعف المجالس النيابية في العراق وعدم تمرسها في استعمال صلاحيتها في ايقاف

الكيلاني

الوصي او الجالس على العرش عند حده وفي كبح جماح ميوله الاستبدادية او الشخصية فمن الواجب ان تدون في الدستور مادة تنص على طريقة معالجة هذا الامر والسلطة تكلف بتنفيذها.
٧. والتوسل بكل الوسائل لاستمالة هذا الوصي ليرضى على قادة الجيش.
٨. يكلف الهاشمي بالاستقالة اذا فشل في تحقيق ما ورد او امتنع عنه وذلك لسمعته واستباقا للاحداث الخطيرة التي ينتظر وقوعها بعد ان تمت التمهيدات اليها ويعول على اخلاق "طه الهاشمي" الحميدة في الموافقة على هذا الرجاء فور التقدم به.

رضى الوصي على القادة مستحيل

٩. بعد استقالة "طه" يقصد الوصي وفد من كرام رجالات العراق والعرب ومن قادة الجيش فيعرضون عليه توسلاتهم ليوافق

امين الحسيني

على اسناد رئاسة الوزارة الى "رشيد عالي الكيلاني" وليوافق على حل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد فورا ليقول كلمته في طلبات الانجليز التي تخرج عن المعاهدة العراقية – الانجليزية وللاقتراع على الثقة بوزارة "الكيلاني" فيقرر بقاءها او استقالتها وفق احكام الدستور.
١٠. يقطع الجيش على نفسه عهدا صارما الا يتدخل في شؤون الحكومة القائمة اذ توثق من سلامة الانتخابات النيابية وتأكد لديها ان السلطة التشريعية تمارس كل ما لديه من صلاحيات وانها ليست الة بيد الوزارة او الوصي او الجالس على العرش وان ما من وزارة تتولى الحكم بتأثير الاجنبي او بدسائسه.
ايام عدة مرت والشخصيات السبع وشخصيات اخرى تؤم دارة "طه الهاشمي" في شارع المعظم او في الوزيرية متوسلين اليه تحقيق تلك المطالب كان يدنو منهم تارة ويتأفف ولا يدلي بشيء تارة اخرى حتى مل وملوا ليكشف عن موقفه بالقول "لا بد من الموافقة على ما يريده الانجليز اما رضى الوصي على قادة الجيش فمستحيل".

فرار نوري السعيد

وكان انعقاد جلسات مجلس النواب في دورة عادية حائلا دون "العقداء" والقيام باي حركة ويقول الوصي على العرش الامير "عبد الاله" في هذا الشأن: "انتهزت فرصة يوم تأجيل المجلس وهو يوم الاثنين ٣١ مارس سنة ١٩٤١ وجمعت مجلس الوزراء ودارت المذاكرة حول الموقف الراهن وما ينتشر حوله من شائعات وقد كنت متأكدا من سوء نية هؤلاء النفر، ولكن طه الهاشمي اكد انهم اقسموا لي بشرفهم العسكري على انهم لن تبدر منهم أي حركة من شأنها الاضرار بالمصلحة العامة او التدخل في السياسة فاكتفى مجلس الوزارء بضمانات طه الهاشمي وانفضت الجلسة.
وكان "نوري السعيد" قد شعر بخطورة الوضع فاتجه قبل انتهاء جلسات مجلس النواب بيومين نحو الحبانية حيث استقل طائرة من سلاح الجو البريطاني وتوجه بها الى عمان ولم تلبث زوجته وزوجة ابنه (صباح) ان توجهتا الى القاعدة نفسها للالتحاق به وقد سمعتا في الطريق نبأ هروب الوصي الى البصرة.

العسكر يحيطون بقصر الرحاب

وحين انفض عقد مجلس النواب في الحادي والثلاثين من مارس عقد مساء اليوم نفسه اجتماع في معسكر الرشيد حضره كل من (رشيد عالي الكيلاني) والعقداء "صلاح الدين الصباغ" و"محمد فهمي سعيد" "محمود سلمان ووكيل رئيس اركان الجيش "محمد امين زكي" وقرروا اتخاذ التدابير التي رأوها ضرورية لمعالجة الموقف وذلك اعتبارا من صبيحة اليوم التالي.
وبالفعل فقد تم استنفار القطعات التي تلقى قادتها اشارات معينة وقبل ان ينتصف الليل بقليل كانت القطعات العسكرية قد احتلت دوائر البرق والبريد وتمركزت عند مداخل الطرق العامة واتخذت الاجراءات لحماية الجسور والمعابر وسائر المرافق كما تم ارسال بعض المصفحات الى جسر الخر

حين انفض عقد مجلس النواب في الحادي والثلاثين من مارس عقد مساء اليوم نفسه اجتماع في معسكر الرشيد حضره كل من (رشيد عالي الكيلاني) والعقداء "صلاح الدين الصباغ" و"محمد فهمي سعيد" "محمود سلمان ووكيل رئيس اركان الجيش "محمد امين زكي" وقرروا اتخاذ التدابير التي رأوها ضرورية لمعالجة الموقف وذلك اعتبارا من صبيحة اليوم التالي.

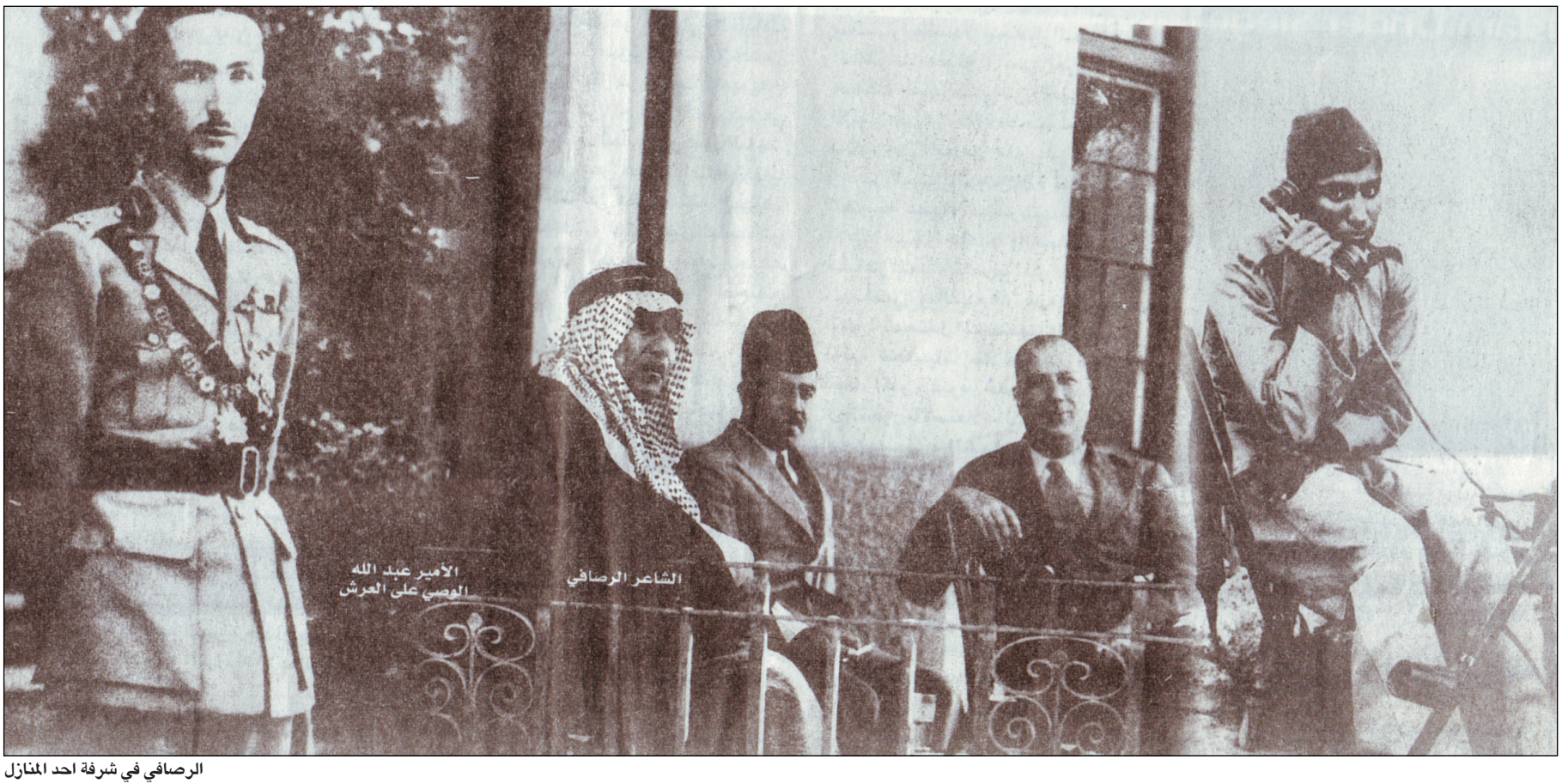

الرصافي في شرفة احد المنازل

في الوشاش وأحاطت بقصر الرحاب حيث يقطن الامير "عبد الاله" ثم توجه العقيد "فهمي سعيد" الى دار العميد "الهاشمي" ومعه وكيل رئيس اركان الجيش "محمد امين زكي" ليبلغاه "ان الحالة بلغت حدا لا يطاق وانه لا بد من ايجاد مخرج لهذه الازمة بالتعاون مع السيد رشيد عالي الكيلاني الذي يثق به الجيش كل الوثوق".

وحسب افادة "طه باشا" فقد اجاب بانه لا داعي لهذه الحركة وبانه لا يمكن ان يشتغل مع "رشيد عالي" بالنظر لعدم اتفاق وجهات النظر في تسيير شؤون الدولة وعندما لاحظ ان كلامه يذهب هباء وانهما مصران على موقفهما انبأهما بضرورة عرض الامر على الوصي وعلى مجلس الوزراء ولكن كان واضحا ان الضابطين لم يكونا يرغبان في ترك المكان قبل الحصول علة كتاب استقالته وهذا ما فعله تجنبا لحدوث "حركة تؤدي للمقاومة واراقة الدماء" واتصل هاتفيا بـ "عبد الاله" اليه ما جرى فلم يجب احد.

بين ارجل الاميركي وزرجته

والواقع ان الوصي كان نائما وقد ايقظه خدم القصر واخبروه ان ثمة شيئا غير اعتيادي من قبل الجيش في منطقة القصر وكان ان تمكن من خرق الحصار بسيارته وهو بلباس النوم وانتقل الى دار عمته "صالحة" في الرصافة وفي اليوم التالي امنت له المفوضية الاميركية في بغداد زورقا بخاريا نقله الى "الدورة" (التي لمع اسمها في الحرب الأخيرة). ومن هناك الى الحبانية يصحبه ضابط الاستخبارات البريطاني "دومفيل" حيث استقل طائرة تابعة لسلاح الجو البريطاني حملته الى البصرة.

ويقول الميجر "ديغوري" الذي عينته لندن سفيرا لها لدى "عبد الاله" في البصرة في كتابه "ثلاثة ملوك في بغداد" ان هذا الاخير تنكر بمساعدة عمته فارتدى عباءة نسائية وفستانا وحذاء وركب عربة تجرها الخيل الى المفوضية الاميركية ومن هناك ركب سيارة الوزير المفوض وقد اختبأ تحت سجادة السيارة بين رجلي هذا الاخير ويدعى نابن شو وزوجته؟.

الجيش حول قصر الرحاب وقصر الزهور الهاشمي اتصل بوزرائه طالبا اليهم الحضور الى دارته فورا وبالفعل فقد وصلوا قبل منتصف الليل واستمر اجتماعهم حتى الصباح حين حضر في السادسة والنصف (الاربعاء ٢ ابريل) "رشيد عالي الكيلاني" و"صلاح الدين الصباغ" و"محمد امين زكي" فاعترتهم الدهشة حين وجدوا الحكومة مجتمعة وبعدما تمت مناقشة مسألة حركة الجيش تم الاتفاق على المقررات التالية:

تشكيل حكومة عسكرية:

١. ابقاء الوزارة القائمة في الحكم.
٢. اجتماع رجال الحكومة مع السياسيين المعروفين في المملكة للتفكير في معالجة الموقف وامتناع الجيش عن التدخل في السياسة على ان يقسم رجال السياسة ومن ضمنهم قادة الجيش وأمراؤه على تنفيذ ما يتقرر في هذا الشان بصدق واخلاص تامين.
٣. عرض الامر على سمو الوصي المعظم والسعي لاقناعه بالموافقة على ما تم وبرجوعه للعاصمة اذا كان غائبا عنها وقد حضر محمد الصدر و جميل المدفعي وعلي جودت الى دارة الهاشمي واخذوا علما بما تقرر ولكن عندما تناهت الى العقداء الاربعة قبل الظهر تفاصيل كاملة حول كيفية فرار الوصي وبرفقة من والى اين شعروا بان الخطر الاجنبي بات يهدد مصلحة البلاد وينذر بتدمير الجيش ولم يروا مناصا من تشكيل حكومة عسكرية تحمل اسم حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني تقديم استقالته التي لم تصل الينا بل اطلعنا عليها من الصحف المحلية لذلك لم نتمكن من تأليف وزارة جديدة).

إذا رفض الوصي الرجوع عن غيه

وورد في مذكرات صلاح الدين الصباغ ان مقررات الجيش كانت كالآتي:
١. تأليف مجلس للدفاع ينظر في شؤون المملكة طوال غيبة الوصي.
٢. النظر في امر الوصي إذا رفض الرجوع عن غيه وبقي مصرا على وضعه المخزي في احضان الانكليز.
٣. توقيف صالح جبر وجلبه الى بغداد وفصل تحسين علي وتوفيق محسن ابو طبيخ وابعاد الشريف فواز والشريف حسين الى شرق الاردن لانهما جاسوسان للانجليز في البلاط وفصل "باقر سركشك" مدير التشريفات في البلاط لانه منافق يدعو الى الاقليمية العراقية ولا يحمل عقيدة عربية وتعيين "نوري السعيد" سفيرا للعراق في اميركا واسناد وظائف مماثلة خارج العراق لكل من "المدفعي" وجودت وابعاد جلال بابان خطيب الانكليز في المجلس.

وحفاظا على الالية الدستورية بعث الوصي بكتاب الى طه الهاشمي يبلغه فيه بقبول استقالته فيما اعلنت بريطانيا انها تشعر بانها مكلفة بان تساعد كل من ينهض للدفاع عن دستور البلاد وكرامتها.

جودت" ليشكل حكومة منفى لكن مسعاه آل الى الفشل كما كان الامر في البصرة.

اتصالات معقدة جرت انتهت بالاتفاق على انعقاد مجلس الامة في ١٠ ابريل ١٩٤١ لتعيين وصي جديد على العرش هو الشريف شرف الذي ما لبث ان اصدر امرا ملكيا بقبول استقالة الهاشمي وتعيين الكيلاني رئيسا للحكومة.

وجود لافت لليهود

ما كاد خبر تعيين اجتماع مجلس الامة لانتخاب سمو الوصي المعظم يعلن حتى عمت الناس الحماسة والسرور فنهضوا في الصباح الباكر وسارت جموعهم هاتفة بحياة صاحب الجلالة الملك "فيصل" المفدى وحياة زعيم الامة فخامة الاستاذ "رشيد عالي الكيلاني" ..

وقد فسر رئيس الحكومة البريطانية أنذاك ونستون تشرشل المعاهدة المفقودة بين لندن وبغداد على النحو التالي: "نصت المعاهدة البريطانية –العراقية– لسنة ١٩٣٠ على وجوب احتفاظنا في زمن السلم بقواعد للطيران قرب البصرة وفي الحبانية الى تعهدات اخرى وعلى ان يكون لقواتنا العسكرية ولتجهيزاتنا حق المرور في كل الاوقات وورد في المعاهدة ايضا انه في زمن الحرب يجب ان نلقي جميع التسهيلات الممكنة ومن ضمن ذلك استعمال السكك الحديدية والانهار والمطارات بغية امرار

العقداء الاربعة شكلوا حكومة عسكرية برئاسة "رشيد عالي الكيلاني"

"ونستون تشرشل": علينا أن نستخدم القوة إلى أقصى حدودها

(١٢ أبريل ١٩٤١).

وحسبما ذكر الوصي فقد (حاولنا هناك في البصرة ان نستقدم اعضاء الوزارة ولنعمل بعيدين عن الضغط الموجود في بغداد ونقضي على حركة رشيد عالي الكيلاني لكن الوزراء لم يستطيعوا الوصول الينا كما علمت ان الضباط أرغموا طه الهاشمي على

الوصي قصد البصرة تحديدا لتكون منطلقا لتحركاته بسبب وجود قوات موالية واعوان له فيها لكن موقف حاميتها المناهض للانجليز اضطره للجوء الى الدارعة البريطانية "كوك بشير" التي كانت ترسو عند مدخل شط العرب ومن هناك انتقل الى الاردن ومعه "جميل المدفعي" و"علي

قواتنا المسلحة.

قرارات غامضة

مجلس الدفاع الاعلى إلتأم وبعد مناقشات طويلة خرج المجتمعون بقرارات غامضة اذ طلب الى وزارة الدفاع ان تقوم باجراء الترتيبات العسكرية المقتضاة في هذا الشأن

كما انعقد مجلس الوزراء وقرر تأييد ما كان قرره مجلس الدفاع الاعلى وتبناه المجلس حول عدم السماح بانزال قوة بريطانية جديدة قبل مغادة القوة الموجودة معتبرا ان بقاء هذه القوة في البصرة يخالف نصوص المعاهدة ويمس حقوق البلاد المشروعة وسيادتها كما قرر تكليف وزير الخارجية الطلب من السفارة البريطانية تقديم اوراق السفير الجديد لان تخلفه عن ذلك امر غير طبيعي لا سيما ان هذا السفير يطلب من الحكومة العراقية امورا تخالف المعاهدة وغيرها من الشؤون المتعلقة بالطرفين.

سنقصفكم بالطائرات

الجانبان تبادلا الانذارات وقد اصدرت لندن بيانا الى "الامة العربية" بانه اذا لم تنسحب القوات المحيطة بقاعدة الحبانية الى بغداد خلال اربع ساعات "فستتخذ اجراءات جوية شديدة ضد دوائر الحكومة في بغداد وكذلك ضد الجيش العراقي وقوة الطيران اينما كانت".

وطلب من الرعايا البريطانيين ترحيل عائلاتهم واطفالهم الى قاعدة سن الذبان واوعزت السفارة البريطانية الى المصارف الاجنبية بتهريب موجوداتها من النقود والودائع (حتى ان الحكومة العراقية فوجئت بان الاموال العائدة لها هربت من المصرف الشرقي).

برغم الوعود لم تصل المعونة من المانيا التي قالت انها كانت تتمنى لو ان حالة التصادم بين العراق وبريطانيا تأخرت بعض الوقت فيما حذر وزير الخارجية البريطاني "انتوني ايدن" من التباطؤ لان الالمان على ابواب العراق ولم يكن هذا صحيحا بطبيعة الحالة الى ان حصلت المواجهة العسكرية في محيط قاعدة الحبانية يوم الثاني من مايو ١٩٤١ الذي يصادف ذكرى ولادة الملك "فيصل الثاني" وكان ان تم الاتفاق على ان ينسحب الفوج العراقي بكل اسلحته ولكن بعد رجاء واسترحام من وكيل متصرف البصرة رجب النعمة للجنرال الانجليزي "فريزر" هذا فيما كانت الطائرات البريطانية تلقي القنابل مصحوبة بالقذائف المدفعية على القوات العراقية في البصرة التي اضطرت للانسحاب.

ذكريات بغدادية

من هو . . حسون الأميركي . .؟

جميل الطائي

حسون الامريكي

في الوقت الذي كان يدفع ضريبة الشهرة من سخرية الناس واستهزائهم كان انسانا طيبا هادئ الطباع طيب المعشر دمث الاخلاق الى درجة عالية ولم يعرف الحقد يوما طريقا الى قلبه الحنون كان وفيا ومخلصا لاصدقائه ومعارفه الى حد كبير جدا صادق المشاعر له ذكاء حاد بحيث كان يشعر بان محدثه يخفي سخريته تحت ستار من الجدية الا انه كان لا يلتفت الى ذلك ولا يكترث او يتأثر نعم هذا هو حسون او كما كان يعرف بين الناس بـ (حسون الاميركي) ولد حسون كاظم عيسى العبيدي في بغداد وعلى التحديد في محلة الصليخ القديم في الجانب الشرقي من بغداد عام ١٩٢٩ اكمل تعليمه الابتدائي في مدرسة الاعظمية الاولى للبنين كما اكمل تعليمه الثانوي في ثانوية المشرق الاهلية (المغلقة) ولم يسعفه الحظ ليكمل تعليمه العالي اقول: ان حسون الخمسينيات ابرز من ارتدى لباس (الجينز) أي (الكاوبوي) الاميركي والذي لم يكن قد عرف في تلك الفترة بين الشباب العراقي اذ كان مجتمعنا يومذاك لما يزل بعد منغلقا على نفسه الا من بعض الاشخاص الذين سبق لهم ان زاروا البلاد الاجنبية او عن طريق الافلام الاجنبية التي كانت تعرض في دور السينما عندنا ويوم لم يكن التلفزيون قد عرف طريقه في البيوتات البغدادية بعد حسون الذي ما ان اكمل دراسته الاعدادية او ووجد نفسه مغمورا على الرغم من احساسه بشخصيته في البدء اراد ان يكون مشهورا ولم يجد امامه سبيلا لمخالفته الاخرين في لباسهم وتصرفهم وكانت بدايته مع حذاء (الجمجم) ذي مقدمة مرتفعة و (معكوفة) الى الخلف وهو اشبه ما يكون (بالمشحوف) النهري بشكله المغربي والذي كان قد اشتراه من احد المخازن الهندية ببغداد ويدعى (باينير) ولم يكن (الجينز) او الكاوبوي كما قلت معروفا يومذاك لذا فقد استغرب المجتمع البغدادي عندما رأي شابا يسير في شوارع بغداد وطرقها مرتديا زيا غريبا مزيجا من الكاوبوي والجمجم وسرعان ما بدأ الناس يتساءلون عن هذا الشاب فعرفوا بانه حسون ولتفرقته عن باقي (الحساسين) اطلق عليه اسم (الاميركي) وهكذا عرف هذا الشاب بانه حسون الاميركي فكان يقابل في كل مكان بالاستهجان الذي اختلف باختلافات ثقافة الفرد ومركزه الاجتماعي ولكن هل اهتز حسون امام هذا الاستهجان؟ كلا لان ذلك الاستهجان باعتقاده كان دليلا على معرفة الناس به وانه بدأ يطرق ابواب الشهرة وقد ساعد حسون في الحصول على الثياب الغريبة ذات الالوان الزاهية والنقوش المختلفة منها على سبيل المثال، البط او النمر او الصقر على صدره والتي كانت تمثل زيا غريبا بالنسبة لابناء بغداد اقول: لقد ساعد حسون في حصوله على هذه الملابس الغريبة من عمله في المستشفى مع الاطباء الذين احبوا بدورهم زيه وخطه في الحياة وكان حبهم له ممزوجا بالسخرية التي كان يتقبلها حفاظا على الهدايا التي كانوا يغدقونها عليه عند رجوعهم من الاسفار حتى ان بعضهم كان عندما يروم السفر الى خارج البلاد يرسل بطلب حسون ليسأله عن حاجته لكي يجلبها له من الخارج ولم يكتف حسون هذا بارتداء الازياء الغريبة فقط بل انه تعداها الى التصرف الغريب فكثيرا ما كان يسير في شوارع بغداد مستصحبا معه كلبا كان يستعيره من احد معارفه من الاطباء ممن كان يسكن في منطقته وكثيرا ما كان ايضا يصعد الى الباص مستصحبا معه الكلب (ولف – دوك) ويقطع له بطاقة دفعا لاستهجان الركاب فلما احس الجابي نفور الركاب واستهجانهم وتخوفهم من الكلب وراحوا يسمعونه الكلمات النابية لم يكترث حسون لكل ذلك وانما التفت الى الجابي قائلا: انه خير منهم جميعا! ولم يكن حسون يكترث يوما بنظرات الناس اليه وسخريتهم منه لسببين الاول: كانت السخرية تمثل لحسون الشهرة واهتمام الناس به اما السبب الثاني: فهو اعتقاده بان الناس هم اقل درجة منه من حيث الرقي وانه سابق لزمانه اجل لقد كانت لحسون نظرة بعيدة جدا لمثل هذه الاعمال التي كان يقوم بها ففي احد الايام سأله احد زملائه في الدراسة عن حذائه (الجمجم) هذا فكان جواب حسون له: "لا يستغرب هذا فانه سياتي يوم يلبس فيه الشباب اكثر غرابة مما ارتديه الان". وكان له ايضا ذوق رفيع ففي المساء كنت تشاهده يرتدي بدلة انيقة تنسجم الوانها مع قميصه وربطة عنقه وحذائه كما كان من اوائل من ارتدى السترة (السبورت) الزرقاء ذات الازرار الذهبية و (البنطرون) السرج الرصاصي وكان يسير وهو يحمل بيده علبه سيكاير (افرنجية) لاكمال مظهره ومن مواقفه الطريفة والغريبة ايضا نذكر: انه كان في زيارة احد اصدقائه من طلاب (دار المعلمين العالية) كليه التربية حاليا وعند جلوسهما في نادي الدار المذكورة طلب ان ياتي له عامل النادي (بالجاي والحليب) وما ان قدم له ما اراد طلب منه ايضا ان ياتي له بقصبة بلاستك كتلك التي يشرب بها مشروب البيبسي كولا، واخذ يمتص عن طريقها الشاي والحليب ولم تمض لحظات حتى ذابت تلك القصبة نتيجة لحرارة المشروب بين ضحكات الطلاب الذين كانوا قد التفوا حوله حال دخوله النادي واستغرابهم لعمله هذا اما عن الاسباب التي دعت حسون لارتدائه الملابس الغريبة هذه فيعود ذلك وحسب قوله لايام حداثته عندما كان يعمل في احدى المهن الحرة حيث كان يواجه التعالي والتكبر والاشمئزاز من قبل بعض اصحاب النفوذ المتغطرسين الذين كان يتعامل معهم مما جعل ذلك يحز في نفسه وهو الدافع الذي دفعه لان يقوم بارتداء تلك الملابس الغريبة ليجلب عن طريقها انتباههم واحترامهم له ومن صفات حسون وخصاله الطيبة والتي يجب ألاّ يفوتنا ذكرها هو انه لم يتعرض او يعاكس بحياته يوما اية فتاة او امراة وفي أي مكان كان او يسيء اليهن بكلمات نابية كلا وحتى لاولئك اللواتي كن يتعرضن له اذ كان (رحمه الله) يستهجن مثل هذه الاعمال الخاطئة بل كان يراها تخلفا وسوء خلق وفي الفترة الثانية من حياته أي عندما تحسنت حالته المادية سافر الى العديد من البلدان الاجنبية وقد استغرب منه حتى اولئك الاجانب من زيه لانهم لم يتوقعوا رؤية عربي يقلدهم تقليدا كاملا في لباسه حاول حسون هذا جاهدا وبمساعدة احد اصدقائه ان يحسن لغته الانكليزية التي كان يستعملها بين الحين والاخر بين الناس لجلب انتباههم وله فيها مواقف معروفة لا يمكنني ذكرها وعندما بدأ الشيب يغزو مفرقيه بدات الامور تتغير بالنسبة لحسون فقد اصبح ميالا الى الهدوء وعدم الاهتمام باثارة الناس وقد يكون ذلك راجعا الى تقدمه في السن او في تقدمه الوظيفي اذ اصبح رئيسا للمرضين في دائرة (مصرف الدم) التي نقل اليها من دائرته الاولى (الامراض العصبية) او قد يكون سبب ذلك التطور الكبير الذي حصل لمجتمعنا البغدادي وانفتاحهم على الازياء الغربية وبدلا من ان يكون هناك حسون واحد اميركي مثلا فقد امتلأت الشوارع فيما بعد (بالحساسين) الشباب بحيث ضاع حسوننا ولم يلتفت اليه احد. وفي احد الايام من عام ١٩٨٥ أصيب بالجلطة الدماغية التي كانت سبب وفاته بتاريخ ١٩٨٥/٧/٢٨.

مهندس اذاعة قصر الزهور يروي شهادته

هذه رواية جديدة عن حياة الملك غازي ومقتله، السيد اسماعيل حسن مهندس اذاعة قصر الزهور التي انشأها الملك غازي في قصره ليذيع منها تعليقاته ضد الانكليز كان من اقرب الناس الى الملك وهو بهذه الصفة يمكن ان يكون خير شاهد يروي تلك الاحداث المثيرة التي مرت بالعراق في الثلاثينيات.
اسماعيل حسن الذي توفي في الثمانينيات يروي جانبا من علاقته بالملك غازي في حوار اجراه معه الصحفي الراحل رشيد الرماحي

الملك غازي مع اسماعي لحسن

اذا اردت ان انصف هذا الشاب الذي القيت عليه مسؤولية العرش واحكامه فلا بد من الاعتراف بأنه كان يعيش عيشة انفرادية اشبه ما تكون بالعزلة لان احكام العرش تقيده ان يبقى بين جدران قصر الزهور الأربعة ولما كان شابا في العشرينيات من عمره فان نفسه كانت تتوق للترويح والانشراح ولم يجد لذلك سبيلا الا في رحاب القصر.

كان يقف شيطان يتلقى اوامره اما من السفارة البريطانية اومن نوري السعيد وهو المدعو (علي الحاج) وقد اكتشفت ذلك بنفسي. ففي ليلة من الليالي وفي الساعة العاشرة مساء بينما كان الملك غازي يجلس الى منضدته الخاصة في قصر الحارثية امام اجهزة الارسال للاذاعة تغلب عليه التعب الى درجة انه حمل الى القصر وهو بلا وعي هذه الحادثة جلبت انتباهي فلا بد ان يكون هناك امر خفي وقد اخذت منذ ذلك الحين اراقب الساقي حتى "كبسته" ذات امسية عندما كان يهيئ كأسا للملك غازي واخرى لي.

وقد ظهر ان الساقي (علي الحاج) يضع للملك خمسة اضعاف كمية الويسكي المطلوبة في كأسه وغرضه من وراء ذلك ان يسكره باسرع ما يمكن لان بقاءه في الاذاعة وتتبعه للاخبار والاحداث كانت توحي له ان يطلب مني ان اكتب له فورا تعليقا على كل ما كان يقلقه وهكذا نشات فكرة سقايته كثيرا من الخمرة حتى يفقد السيطرة على اعصابه فينام.

الانكليز منعوني

وقد انذرت (علي الحاج) بالكف عن هذا العمل المشين وقلت له انه اذا عاود خيانة واجباته ابلغت الملك بذلك كان الملك يأتي الى الحارثية بعد تناول الغذاء للقيلولة واحيانا يذهب الى حقول الحارثية لاصطياد الارانب ثم يعود الى الاذاعة ولا يفارقها الا بعد الساعةالحادية عشرة ليلا فاين هذه الحياة من تصورات وتخيلات البيب الخاص الذي لصق به الاكاذيب دون خجل او توبيخ الضمير.

كانت اذاعة قصر الزهور شوكة في عيون الانكليز او خنجرا في خاصرتهم اقضت عليهم ليلهم وسرقت منهم هدوءهم ورزانتهم اذ كانوا كثيرا ما يشكون كتابات الاذاعة وتعليقها الى نوري السعيد وهو بدوره يصدر اوامره الى مدير البريد والبرق العام انذاك احمد زكي الخياط وهو بدوره يصدر الاوامر لي ولما عيل صبرهم من بلوغ مأربهم باسكات صوت اذاعة قصر الزهور اتجه حقدهم عليّ انا فامرني احمد زكي الخياط بالامتناع عن الذهاب الى قصر الزهور والاكتفاء بمسؤوليتي كمراقب فني للاسلكي الميناء الجوي واذاعة بغداد لان وجودي هناك يعكر صفو العلاقات مع الحكومة البريطانية.

اجبته انني لا استطيع عصيان اوامر الملك والذي اراه ان تطلبوا انتم من الملك تسريحي او اعفائي من الذهاب الى القصر.

فقال اننا لانستطيع مطالبة الملك غازي بذلك والافضل ان تقلل من ذهابك الى القصر تدريجيا.

فوعدته بذلك مكرها. وقد لمس الملك غازي تغيبي عن الاذاعة تاركا ذلك الى رئيس العرفاء عبد الكريم الذي اعار الجيش خدماته الى القصر فاخذ الملك يبعث بسيارة من القصر الى داري وازاء ذلك لم يكن لي بد من خيار الا الطاعة.

طلبت اعفائي..

في شهر شباط ١٩٣٩ ادركت ان السفارة البريطانية ونوري السعيد كانا منزعجين من وجودي في القصر وادركت النتائج السيئة اذا ما ارغم الملك على اعفائي من عملي في قصر الزهور فقررت ان اطلب منه بحضور (الشريف حسين) ان يعفيني من مسؤولية الاستمرار في ادارة الاذاعات الملكية وقلت له بالحرف الواحد:

يا صاحب الجلالة انا موظف صغير في الدولة ووجودي في اذاعة القصر قد خلق لي مشاكل واعداء اخشى انتقامهم اذا ما استغنيتم عن خدماتي يوما ما لهذا ارجو من جلالتكم تسريحي باحسان.

فالتفت الملك وقال للحاضرين

– ان اسماعيل لا يغادر قصر الزهور قبل ان يغادره غازي.

امام هذا الجواب الصريح ادركت عظيم تقديره لخدماتي فقررت الاستمرار في ادارة الاذاعات ومواصلة الاذاعة والتعليق وليأت القدر بما يشاء.

الاذاعة العجيبة

والان لنتحدث عن اذاعة قصر الزهور.

لقد نصبت اجهزة مرسلات اللاسلكي الاولى في قاعة السينما في قصر الزهور ليمارس الملك غازي اثناء فراغه هواية المراسلات اللاسلكية ولم يكن في الحسبان استعمالها كاذاعة وقد سجلت في جمعية هواة اللاسلكي بامريكا كمحطة هواة تحت اسم YoKG وهي ترمز باللغة الانكليزية الى العبارة التالية KING o YOUNG IRAQ GHAZI ومعناها (العراق الحديث رقم ٥ الملك غازي)

وكنا في البداية نذيع الموسيقى فقط على موجتين مخصصتين للهواة في عالم اللاسلكي وهما ٢١ مترا و ٤٢ مترا وبعد فترة من الزمن طلب الملك ان نحولها الى اذاعة خاصة (سرية) واعطاها اسم (اذاعة قصر الزهور) فذاع صيتها وسمعت في (كافة) البلاد العربية وبعض الدول الاوروبية وبهذا اصبحت اول اذاعة في العالم كله تخرق الالتزام المقرر لها كاذاعة هواة لاسلكي وبدأت تحتذب المستمعين لها من الشعب العراقي لانها كانت اذاعة متحررة من قيود الرقابة الحكومية الموضوعة على اذاعة بغداد ولانها تذيع من قبل الظهيرة الى قرابة منتصف الليل في حين كانت اذاعة بغداد لا يتجاوز وقت بثها اكثر من اربع ساعات. وقد ركزنا اهتمامنا على امور ثلاثة في مقدمتها قضية فلسطين تليها قضية اتحاد سوريا والعراق ثم تحرير الكويت من الاستعمار الانكليزي.

اذاعة اخرى

وبعد النجاح الذي اصابته اذاعة قصر الزهور قررنا بموافقة الملك غازي شراء مرسلة جديدة قوتها الف واط أي ضعف قوة المرسلات العاملة في قصر الزهور حينذاك وقد امر الملك بنصبها في غرفة تقع وسط الحارثية فانجزنا بناءها خلال فترة وجيزة الامر الذي دفع بالملك ان يقسم وقت فراغه بين المحطتين فكان يلتقي في بناية اذاعة قصر الزهور بين الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الساعة الرابعة وبعد عودته من قصر الامير وتناوله العشاء يكون في قصر الحارثية ويجلس في مكان اعد له بين اجهزة الرقابة والاستلام وفي بعض الاحيان يأتي مباشرة دون الذهاب الى قصر الزهور.

هكذا كان يقضي اوقات فراغه معتزا بإذاعته التي كثيرا ما خاطب الشعب العراقي منها وكثيرا ما كان يقوم بتقديم الفقرات الاذاعية بنفسه دون ان يتعرف عليه الشعب الا بعد حين.

يكره عبد الاله

كان الملك غازي لايميل بتاتا الى عبد الاله وكان التقاء الملك بعبد الاله غالبا ما يكون في القصر في ايام الجمع عندما ياتي الاخير لزيارة اخته الملكة عالية (زوجة الملك غازي).

وفي بعض الاحيان تتصل به الملكة بالهاتف فيقول لها انه مشغول في اذاعة الحارثية ابعثوا بطعامي الى هنا. وكان يتكتم علي الافصاح عن اسباب عدم ميله الى عبد الاله الا انه ذات مرة هطلت امطار غزيرة في بغداد اغرقت الطرق غير المبلطة وكان عبد الاله قادما بسيارته من بغداد مارا بالطريق المحاذي للميناء الجوي (المثنى) وهو غير مبلط فتوقفت سيارته وسط الوحل ولم تعد تتحرك فذهب الى قصر الرحاب على قدميه وطلب من القصر ان يبعثوا من يخرج سيارته من الوحل. لوما كان (الاوسطة احمد) رحمه الله المكلف بصيانة السيارات الملكية لا يقدم على شيء دون اذن من الملك فقد طلب الاذن لكن الملك قال له: "قل لعبد الاله ان يطلب من (الجوكي) اخراج سيارته من الوحل".

في هذه اللحظة ادركت كراهية غازي لعبد الاله الذي نصبوه وليا على فيصل الثاني.

كان الملك غازي لايميل بتاتا الى عبد الاله وكان التقاء الملك بعبد الاله غالبا ما يكون في القصر في ايام الجمع عندما ياتي الاخير لزيارة اخته الملكة عالية (زوجة الملك غازي).
وفي بعض الاحيان تتصل به الملكة بالهاتف فيقول لها انه مشغول في اذاعة الحارثية ابعثوا بطعامي الى هنا

اجرى الحوار الصحفي الراحل رشيد الرماحي ونشر في مجلة بغداد 1965

الحديث الأخير لنوري السعيد

قبل خمسة ايام من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبالتحديد في ٩ تموز كتب نوري السعيد مقالا الى مجلة (لايف العالمية life international) التي تصدر في الولايات المتحدة . وفي يوم ١٨ آب ١٩٥٨ نشرت المجلة المذكورة حديث نوري السعيد المشار اليه بعنوان "الوصية الاخيرة لرئيس وزراء العراق: نوري السعيد يتنبأ بانفجار كارثة جديدة".

د.سامي عبد الحافظ القيسي

وكان رئيس تحرير المجلة المذكورة قد اشار في بداية ذلك المقال الى ان مقتل نوري السعيد يرجع في بعض اسبابه الى افكاره ومعتقداته وعليه فان اراءه وافكاره كانت بمثابة "وصية لزعيم اعتقد ووثق بالغرب رغم ان سياسة الغرب في منطقة الشرق الاوسط قد اثارته وافزعته".

ها نحن بعد مرور عقود على قيام ثورة ١٤ تموز نجد انفسنا امام حدث اكتسب الخصوصية التاريخية واصبح موضوعه مؤهلا للبحث والدراسة والتحليل وبالرغم من ظهور الكتابات والدراسات بعضها اكاديمي عن الثورة واسبابها والنتائج التي تمخضت عنها تبقى الحاجة قائمة للكتابة عن اقطاب العهد الملكي لتسليط الضوء على ادوارهم والملابسات التي صاحبت سيرهم السياسية.

لم يترك ساسة العهد الملكي باستثناء فئة قليلة منهم مذكرات مطبوعة ومنشورة وبالرغم من ان نوري السعيد كان يقف في طليعة هؤلاء السياسيين وانه كان في بؤرة الاحداث السياسية في المنطقة العربية وفي العراق حوالي نصف قرن (منذ ان كان طالبا في الكلية العسكرية في اسطنبول عام ١٩٠٨ وحتى وفاته عام ١٩٥٨) الا انه لم يترك هو الاخر اية مذكرات مطبوعة او مخطوطة كما عرف عن نوري السعيد قلة الادبيات التي تركها . عدا بيانات وخطب متفرقة في جلسات المجلس النيابي وكتيبات لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة لذا فان التطرق الى حديث نوري السعيد الاخير مع دراسته وتحليله يعتبر اسهامه متواضعة في دراسة افكار هذه الشخصية التي لعبت دورا مهما في تاريخ العراق المعاصر.

اضافة الى ما تقدم سيجد القارئ ان نوري السعيد قد تطرق في معظم حديثه المشار اليه الى الجوانب المتعلقة بالسياسية الخارجية فقط دون الاشارة الى الوضع الداخلي العام في العراق . اذ من الثابت تاريخيا انه يتحمل والاخرون مسؤولية ما حل بالعراق من تدن في الاوضاع الاقتصادية جراء احتكار الشركات النفطية وتحكمها بموارد العراق والاختناقات التي حصلت في مشاريع مجلس الاعمار فضلا على انعدام الحريات الديمقراطية ومطاردة المعارضين وحصر الممارسة السياسية بيد مجموعة من الشخصيات والوجوه الملوفة ويكفي للتدليل على ذلك ان نوري السعيد وحده ترأس الوزارة العراقية اربع عشرة مرة منذ استيزاره للمرة الاولى عام ١٩٣٠ كما اصبح وزيرا للخارجية ست مرات فضلا على تحكمه بمجمل السياسة العراقية من موقع المسؤولية الوزارية او خارجها .

لقد عرف عن نوري السعيد انه كان رجل بريطانيا الاول والاقوى في الشرق الاوسط ولم يكن يعرف المرونة في معاملة رجال السياسة ولا سيما رجال المعارضة والاحزاب السياسية واستهان "بقوة المعارضة وغضب الشعب وموقف ضباط الجيش كما استهان برجال السياسة العرب في الامصار كافة وكان في كل ذلك يستند الى السياسة البريطانية في العراق والشرق الاوسط وتنفيذها باخلاص".

سيتركز البحث في حديث نوري السعيد الاخير بصفة اساسية على الاراء التي وردت فيه ثم تحليلها ومناقشة بعضها اعتمادا على سياق الاحداث التاريخية التي مرت بالعراق وبالمنطقة العربية والتي لعبت دورا اساسيا في تاريخ المنطقة ومصيرها ولكننا نجد ان من المفيد ان نذكر نبذة مختصرة عن حياة نوري السعيد وعن ابرز آرائه السياسية التي آمن بها وعمل على تنفيذها .

ولد نوري السعيد في بغداد سنة ١٨٨٨ وكان والده سعيد طه موظفا في دائرة الاوقاف في العهد العثماني قد سكنت اسرته محلة الطوب شمال بغداد درس نوري الاعدادية العسكرية في بغداد وتخرج فيها عام ١٩٠٢ اكمل بعدها دراسته في الكلية الحربية في اسطنبول وتخرج برتبة ملازم ثان في ايلول ١٩٠٨ وعين ضابطا في الجيش العثماني . تزوج نوري من نعيمة العسكري شقيقة جعفر العسكري عام ١٩١٠ وهو العام الذي تزوج فيه جعفر من اخت نوري وفي عام ١٩١١ التحق بكلية الاركان في اسطنبول اذ تلقى محاضرات في التاريخ وفي السوق العسكري على يد العسكريين الالمان.

وخلال الفترة التي تسلطت فيها جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الامور وانتهاجها للسياسة العنصرية المعروفة حيث تسببت تلك السياسة في قيام بعض الجمعيات السرية والعلنية وساهم نوري السعيد في بعضها وكانت جمعية العهد التي اسسها عزيز علي المصري عام ١٩١٣ من اشهر تلك الجمعيات التي انتمى اليها واقسم على الاخلاص لمبادئها

وعندما اندلعت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ بقيادة الشريف الحسين بن علي كانت لنوري السعيد مساهمة بارزة فيها . وكان اشتراكه في الثورة بداية رفقة مستمرة للاسرة الهاشمية دامت طوال حياته فقد دخل الخدمة العسكرية في الحجاز وتفقد المناصب العسكرية الرفيعة ثم اصبح من اقرب المقربين الى الملك فيصل اثناء الحكم العربي في سوريا (١٩١٨-١٩٢٠)

وبعد قيام الحكم الملكي في العراق وترشيح فيصل ملكا على العراق كان نوري السعيد من اشد المؤازين لفيصل ومن اشد المؤيدين للنظام الجديد وقد تبوأ مراكز متعددة قبل ان يتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٠.

وقد وضحت قدرات نوري السعيد في الميدان السياسي منذ عقده المعاهدة العراقية – البريطانية في عام ١٩٣٠ وابرامها . وكانت تلك المعاهدة قد احتوت على شروط ومواد حققت بريطانيا من خلالها الكثير من مصالحها على حساب العراق ولا سيما الاحتفاظ بقاعدتي الحبانية والشعيبة . وعلى هذا الاساس ظهر نوري السعيد مؤيدا لبريطانيا يحكم العراق بالنيابة عنها.

كما زاد نفوذه وقويت مكانته بعد الانتكاسة التي لحقت بثورة مايس القومية والوطنية التحررية لعام ١٩٤١ واعادة بريطانيا احتلالها للعراق وقد خلا له الجو وخدمته الظروف بعد غياب الشخصيات القوية مثل الملك فيصل الاول وعبد المحسن السعدون وجعفر وياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني . واصبح المسيطر الوحيد على مقدرات العراق السياسية مستندا في ذلك الى تأييد بريطانيا له ومناصرتها سياسته قبيل الحرب العالمية الثانية في اثنائها وفيما بعدها.

ومهما قيل من تدبير لسياسته المؤيدة لبريطانيا من انه قصد بها خدمة العراق والعرب فان "الشعور العام كان عدائيا نحوه وقد تصرف الناس عامة والمثقفون خاصة طبقا لهذا الشعور ساهم نوري السعيد بعد الحرب العالمية الثانية بكل نشاط في خطط حلفائه الغربيين الرامية الى اقامة مشاريع دفاعية لسد الفراغ في الشرق الاوسط ولتطوير الاتحاد السوفيتي . وعقدت على هذا الاساس معاهدة عراقية – اردنية عام ١٩٤٦ ومعاهدة عراقية – تركية ١٩٤٧ ومعاهدة عراقية بريطانية عام ١٩٤٨ لتكون بديلا عن معاهدة ١٩٣٠ الا ان الشعب العراقي احبطها بوثبته الوطنية المعروفة.

توجت سياسة نوري السعيد المرتبطة بالغرب بالتوقيع على حلف بغداد عام ١٩٥٥ والذي ضم اضافة الى العراق كلا من تركيا وايران وباكستان وبريطانيا وساهمت الولايات المتحدة فيه بصفة مراقب وانضمت الى بعض هيئاته ومؤسساته وكان حلف بغداد عاملا اساسيا في شق الصف العربي وابعاد العراق عن الاقطار العربية كما سبب الى حد بعيد بالاضافة الى عوامل اخرى في سقوط النظام الملكي في العراق.

نص حديث نوري السعيد

قبل التطرق الى نص الحديث لا بد من التنويه الى ان الاتي ليس ترجمة حرفية للحديث انما هو عرض له مع الالتزام بالافكار التي وردت فيه وسيأتي تثبيت ملاحظاتنا على الحديث بعد الانتهاء من عرضه.

في بداية حديثه اشار نوري السعيد الى القرار الاميركي الصادر في تشرين الاول ١٩٥٦ والقاضي "بتبني سياسة الدفاع عن الشرق الاوسط" واعتبره من الاحداث المهمة في منتصف القرن العشرين واشار ايضا الى ان اجراءات الولايات المتحدة السريعة والمتلاحقة كانت عاملا حاسما لحماية وانقاذ استقلال مصر . كما كان في هذا القرار اشارة قوية وواضحة الى موسكو من ان "الولايات المتحدة ستعمل وبموجب مبدأ ايزنهاور على منع انتشار النفوذ التشريعي" لقد عبرت تلك الاجراءات في راي نوري السعيد عن قرارات شجاعة لدولة تعرف كيف تتصرف وتتدبر امور السياسة ولكن يبدو الان واضحا أي بعد مرور سنتين على تلك الحوادث ان القرارات تلك لم تعد كافية فضلا على ان الاحداث قد اشارت الى ان تأييد الولايات المتحدة وسياستها الشرق اوسطية اخذ يتضاءل بشكل ملحوظ وخطير الى درجة انه نفسه كمسؤول عربي يشعر بانه معرض الى المساءلة والاحراج السياسي فيما لو استمر على التعاون او تأييد تلك السياسة .

ولزيادة الوضوح اكد بانه لا بد من الجوع الى الوراء في استقراء الاحداث وبالتحديد الى خطاب الرئيس الاميركي / ايزنهاور امام الكونكرس في الخامس من كانون الثاني ١٩٥٧ الذي طلب فيه من اعضاء المجلس دعم برنامجه القاضي بمحاربة الشيوعية.

لم يعد هذا البرنامج في رأي نوري السعيد كافيا وذلك لانه سوف لا يقيم الحلول لكل مشاكل الشرق الاوسط اذ لاتزال المشاكل المتعلقة بفلسطين اولا والعلاقة بين الدول العربية (واسرائيل) ومستقبل اللاجئين العرب ثالثا معلقة بدون حل.

واكد نوري السعيد بان الامم المتحدة قد اعطت لهذه المواضيع والقضايا اهمية خاصة وجادة واننا "ايدنا الامم المتحدة ولكن "لا الولايات المتحدة ولا الامم المتحدة نفسها اتخذت أي قرار او تحرك جدي لا حق لحل هذه المشاكل وهذا ان دل على شيء فانما يدل على قصر النظر".

ثم يسترسل نوري السعيد في طروحاته معللا بان المشاكل التي ذكرها هي المشاكل ذاتها التي "اسهمت وساعدت على تهيئة الظروف امام الشيوعية واعطتها فرصة الحصول على موطئ قدم هنا " . في الوقت الذي "تجاهل فيه آيزنهاور هذه المشاكل ووضعها جانبا في حديثه السابق الذكر امام الكونكرس الاميركي".

رأيه في مشاعر الاميركيين تجاه العرب

تطرق نوري السعيد بصدد هذه المسألة الى القول بان الاميركيين كما وصل الى علمه "قد سئموا من العرب ومن عنادهم (رفضهم) تجاه اسرائيل" ولكن في الوقت ذاته وبكل صراحة ووضوح فان الزعماء والقادة العرب هم قد سئموا من التجاهل الأميركي للمشكلة الفلسطينية اذ يبدو جليا ان الاميركان غير قادرين على ادراك عمق المرارة التي يشعر بها العرب تجاه اليهود في اسرائيل وبالاضافة الى ما تقدم فقد تطورت مشاعر الفرد الاميركي تجاه اليهود وبالتالي تجاه (اسرائيل) نتيجة للتجارب المريرة والذكريات التي ترددت عن ضحايا اليهود في معتقلي بلزن وبوخن فالد (Belsen & Buchenwald) تبدو وجهة النظر الاميركية هذه على سبيل الجدل مقبولة ومفهومة غير انها كما اشار غريبة بالنسبة لوجهة العربية فلا يعقل ان يتحمل العرب عقدة الذنب التي يعانيها الغرب بسبب هتلر واعماله بل يشعر العرب على العكس من ذلك "بانهم هم انفسهم اصبحوا من ضحايا".

نوري السعيد وجمال عبد الناصر

اصدرت الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ قرارتها الخاصة بتقسيم فلسطين "وقد حارب العرب قرار قيام (اسرائيل) الا انهم خسروا تلك الحرب" وتسبب الارهاب الصهيوني في طرد نصف مليون غربي من فلسطين. ولم

تطرق نوري السعيد بصدد هذه المسألة الى القول بان الاميركيين كما وصل الى علمه "قد سئموا من العرب ومن عنادهم (رفضهم) تجاه اسرائيل" ولكن في الوقت ذاته وبكل صراحة ووضوح فان الزعماء والقادة العرب هم قد سئموا من التجاهل الأميركي للمشكلة الفلسطينية

تضعف هذه الذكريات المريرة ولم تغب عن الذاكرة . واكد ان العرب شعروا بان الغرب خذلهم ووصلوا الى درجة كبيرة من اليأس والاحباط وخيبة الامل وهنا كان طبيعيا على حد قوله : "ان تغريهم وتغويهم الوعود المعسولة المسؤولة التي قدمتها الشيوعية".
لقد بقي على جمال عبد الناصر الذي كان هو نفسه قد ظهر كرد فعل للمساوئ السياسية الاجنبية في مصر ان يقوم بحركة مناسبة وجاءت تلك عندما توجه الى السوفيت في نهاية عام ١٩٥٥ وعقد معهم صفقة الاسلحة المشهورة مبررا عمله ذلك "برفض الغرب تزويد مصر بالاسلحة بشروط معتدلة ومقبولة".

آراء نوري السعيد في صفقة الاسلحة

فيما يأتي بعض الافكار التي عرضها نوري السعيد بصدد صفقة الاسلحة التي عقدها جمال عبد الناصر مع السوفيات ، منها:
١. لا ينكر احد من العرب على عبد الناصر اضطراره لذلك الاجراء الان وفيما بعد.
٢. اكد بان قرار عبد الناصر كان قرارا عاطفيا غير انه من الناحية السياسية دل على "ضيق في الافق السياسي واضر بالقضية العربية".
٣. يرى نوري السعيد ان عبد الناصر قد كسب من الناحية العملية وكسب تاييد الملايين من العرب الا انه اخفق في ادراك عدم استعداد الغرب لتحمل تعاظم النفوذ السوفيتي في الشرق الاوسط .
٤. عجز عبد الناصر عن ان يتفهم ويعي "ان الغرب لا يضمن للعرب ترف الحياد". ان هذه المنطقة مهمة وبشكل قاطع وحاسم للغرب "انها مهلكة الى درجة ارتكاب الحماقة"
٥. اهمل عبد الناصر رغم تربيته العسكرية حقائق الواقعية العسكرية . وكانت هذه الواقعية التي قصدها نوري السعيد قد تضمنت الفكرة التالية : "عجز السوفيت في الدفاع عن العرب اذا ما اصبحوا اعداء للغرب".
عليه كما يرى نوري السعيد : كانت حرب السويس الثمن المتوقع لسياسة عبد الناصر لقد اعلن السوفيت انهم سيدخلون الى جانب مصر في حين بقيت الولايات المتحدة ترواح وتفكر حول سياستها الشرق اوسطية وقد اثار الاعلان السوفيتي مع ذلك رد فعل اميركيا تجسد بانذار آيزنهاور موسكو بالابتعاد عن المنطقة وقامت الولايات المتحدة عقب ذلك باتخاذ خطوات قوية وسريعة لتعزيز موقعها ضد اصدقاء الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط.
وادعى عبد الناصر بان التهديد الاميركي الاخير موجه ضده وبانه كان ضحية الاعتداء الاجنبي الصارخ غير أن هذا الادعاء (في راي نوري السعيد) كان ادعاء غير صحيح.

مهما قيل من تدبير لسياسته المؤيدة لبريطانيا من انه قصد بها خدمة العراق والعرب فان "الشعور العام كان عدائيا نحوه وقد تصرف الناس عامة والمثقفون خاصة طبقا لهذا الشعور ساهم نوري السعيد بعد الحرب العالمية الثانية بكل نشاط في خطط حلفائه الغربيين الرامية الى اقامة مشاريع دفاعية لسد الفراغ في الشرق الاوسط ولتطوير الاتحاد السوفيتي .

وقد لخص نوري السعيد وجهة نظر السياسة الاميركية ونتائج الانذار الاميركي بالنقاط الاتية:
١. لم يعد امام العرب أي خيار الا الوقوف الى جانب الولايات المتحدة خشية تعاظم النفوذ السوفيتي . مما جعل موضوع الصراع العربي الاسرائيلي يحتل مرتبة ثانوية.
٢. ميل الغرب الى تفضيل اسرائيل في المواضيع التي تكتسب صفة الاستعجال .
٣. ان نجاح الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي ساعد على خلق حالة من الرضا والسكوت عن المواضيع المتعلقة بالمسألة الاسرائيلية.
يبدو الان ونتيجة لما تقدم ان الولايات المتحدة اخذت تعيد الى الاذهان طرح المواضيع المالوفة التي تتلخص في : "ان اسرائيل لاتزال موضوعا مربكا حساسا ومعقدا وان المشكلة الفلسطينية تحتل المرتبة الثانية في سلم الاولويات اذا ما قورنت بالخطر الماثل الواضح المتمثل بالشيوعية لذا وطبقا لرأي الولايات المتحدة لا بد من ترك موضوع القضية الفلسينية وتفاصيلها جانبا.
بعد ذلك عقب نوري السعيد على توجهات السياسة الامريكية هذه ، قائلا: "ان العكس هو الصحيح على الاقل بالنسبة الى الجماهير العربية". اذ ان هذه الجماهير ترى في اسرائيل الخطر الواضح والمباشر في حين انها تجد في الخطر الشيوعي خطرا ثانويا .ورأي نوري السعيد الشخصي مغاير تماما لرأي الجماهير العربية الذي يعبر عن مغالطة كبيرة . فهو يدعي بان الحوادث والحقائق قد اكدت له "بان الاستبداد والطغيان الشيوعي اكثر وطأة وسوءا من الطغيان الاسرائيلي" . واشار معقبا من ناحية اخرى "بان من الصعب بمكان ان تنطلي مثل هذه الفكرة اول المنطق على العرب". ويقصد بذلك الجماهير العربية.
وكما يبدو فان العالم غير مهتم وغير مبال بمصير مليون لاجئ عربي وقد امتد عدم الاهتمام هذا ليشمل الدول الاعضاء في الامم المتحدة اذ تخلى هؤلاء الاخرون وتخلفوا عن دعمهم واصبح واضحا ومعروفا هنا في بغداد بانه لا الولايات المتحدة ولا اي قوة كبرى اخرى تتبنى او تناقش شكوانا ومطالبنا ضد اسرائيل.
ويدل الشعور السائد الان (تموز ١٩٥٨) على ان الغرب قد تخلى عنا بشكل سافر كما في الحال في عام ١٩٥٩ قبل ان "يكهرب" عبد الناصر العالم العربي بصفقة سلاح مع السوفيت .
ثم عاد نوري السعيد ليجدد اخلاصه وولاءه للغرب بصيغة من ينصح ولكنه ينذر في الوقت نفسه: "نحن الذين نؤمن ونثق بالغرب ونتحالف معهم قد انذرناهم من مغبة الكارثة الاخيرة (يقصد صفقة السلاح) ولكنهم تجاهلوا انذارنا وجاءت الكارثة".
ثم اشار مؤكدا الى ان الكارثة يمكن التنبؤ بها اليوم على قدم المساواة فاذا جاءت في المرة السابقة بموجب طريقة جمال عبد الناصر ومشيئته فمن المحتمل "ان تكون انقلابا شيوعيا في المرة القادمة".
واختتم حديثه قائلا : "اني اتكلم هنا كعربي وكصديق للغرب واعلن استيائي وانزعاجي . ويشاركني المسؤولون العرب الشعور نفسه من ان تدخل الولايات المتحدة في الشرق الاوسط لا يعني عمليا اكثر من قيامها بايقاف حدة التوتر في منطقة الاضطرابات – اي ان عملها شبيه بعمل قوات الامم المتحدة لحفظ السلام – وعليه فقد لايكون الانفجار التالي او القادم سهلا في اخماده او اطفائه.

الشريف حسين

عبد الناصر

زكي مبارك في العراق

طرائف عن ذكرياته مع الادباء والشعراء وكتابه عن (ليلى المريضة)

ليس بين القراء من لا يعرف الدكتور زكي مبارك – وان كان قد فارق الحياة قبل ثلاثين سنة – فقد اقترن اسم هذا الأديب الكبير باكثر المعارك الادبية التي نشبت على صفحات الصحف والمجلات العربي زهاء نصف قرن، وكانت له خصومات مع اعمدة الأدب العربي (طه حسين) و (العقاد) و(الرافعي) و(احمد امين) وغيرهم وغيرهم تمخضت حصيلة هذه المعارك عن كتب ممتعة ما زال يتداولها المتأدبون والأدباء منذ صدورها وحتى الان وربما استمروا على الافادة منها خلال القابل من السنوات.
ولزكي مبارك عشرات الكتب في مختلف فنون الادب ولكن ما انتجه في العراق من مؤلفات يعتبر من اهم ما كتبه هذا الاديب الكبير بالرغم من ان بقاءه في العراق لم يتجاوز العام الدراسي الواحد كان خلالها مثال الاستاذ الملتزم في اداء واجبه بدار المعلمين العلية بالرغم من اتساع نشاطه الاجتماعي فكان يزور أصدقاءه الادباء في المقاهي والمسارح وفي محلات عملهم وهو يرتاد القبولات والبيوت ويلقي المحاضرات الاضافية في النوادي ويذيع الاحاديث من محطة بغداد ويكتب للصحف ويقوم بزيارة المدن الهامة من العراق حيث اقيمت له حفلات تكريم في النجف والبصرة والموصل القيت فيها قصائد وخطب احسن الاستاذ عبد الرزاق الهلالي في جمعها بكتاب ضخم بعنوان (زكي مبارك في العراق) ومن خلال زيارات الدكتور مبارك (لنادي القلم) للقاء اصدقاءه (رضا الشبيبي) و(عبد المسيح وزير)و(عباس العزاوي) ومن خلال لقاءاته في (مقهى الشابندر) لاصدقائه الشعراء (عبد الرحمن البناء) و(ابراهيم ادهم الزهاوي).
ومن خلال جلساته مع مطرب العراق الاول الاستاذ محمد القبانجي وزيارته لادارات الصحف الف كتابه الفخم (ليلى المريضة في العراق) الذي كان يتابع القراء فصوله في (الرسالة) وكتابه الجميل (وحي بغداد) و (المسامرات والاحاديث)! ومن اثر اتصالاته بعدد من الادباء القى محاضراته عن (عبقرية الشريف الرضي) في كلية الحقوق والتي سجلها في جزئين ضخمين من الكتب الادبية الهامة التي نالت اعجاب الرصافي بالرغم من انه غير راض عن (الرضي) من نواح سياسية وادبية متعددة!
ولقد استكطاع زكي مبارك ان يدون العديد من الاحاديث التي اجراها مع عدد من كبار ادباء العراق ويوم زار (الفلوجة) حيث كان يقيم الشاعر الرصافي استدرجه ليسجل اخر ما قال من شعره وكان منها هذا البيتان اللذان اثارا نشرهما سخط السلطة التي شعرت بانها مقصودة باللوم والعتب من الشاعر:

قد كان لي وطن بالامس اندبه واليوم لا وطن عندي ولا سكن ولم اجد من بلاد كنت اخدمها الا حثالة قوم قاءها الزمن!

ولقد دافع زكي مبارك عن العراق يوم تصدت بعض الصحف العربية لمهاجمته كما سجل في انطباعاته عن الحياة العراقية الصور الجديرة بان تنال الاهتمام من المعنين بتاريخ العراق الادبي والاجتماعي. وكانت الصحف قد نشرت ان كريمة الدكتور مبارك طلبت من الجهات المختصة مساعدتها على طبع اثار والدها التي كتبها بالعراق وبودي وبود الكثيرين من المعنين بالتراث ان تقوم الجهات المذكورة بتحقيق هذا الطلب خدمة للتراث الادبي التاريخي الذي سيخدم العراق في الحاضر والمستقبل.

مجلة الف باء تموز 1981

اللقاء الأول بين عبد الكريم قاسم والجواهري

عقيل الناصري

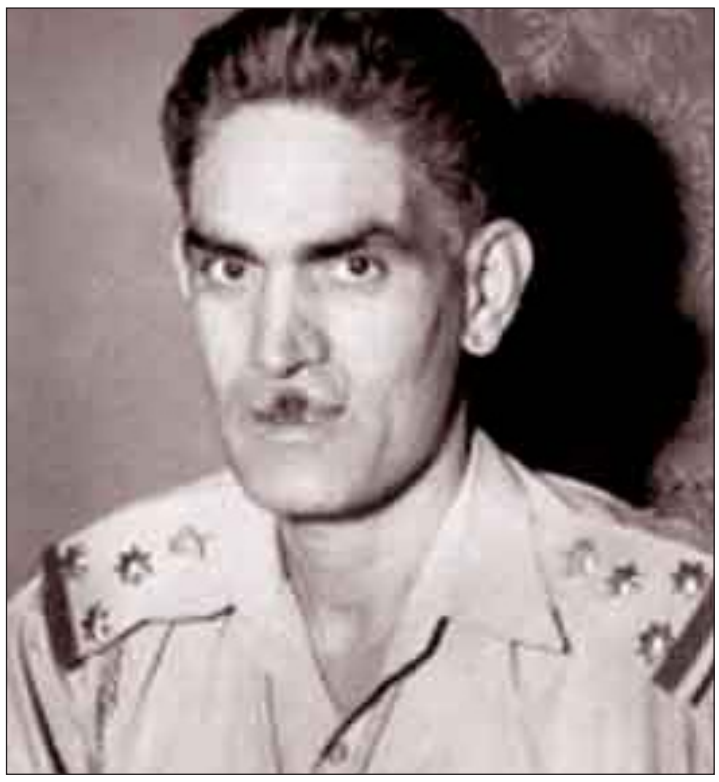
عبد الكريم قاسم

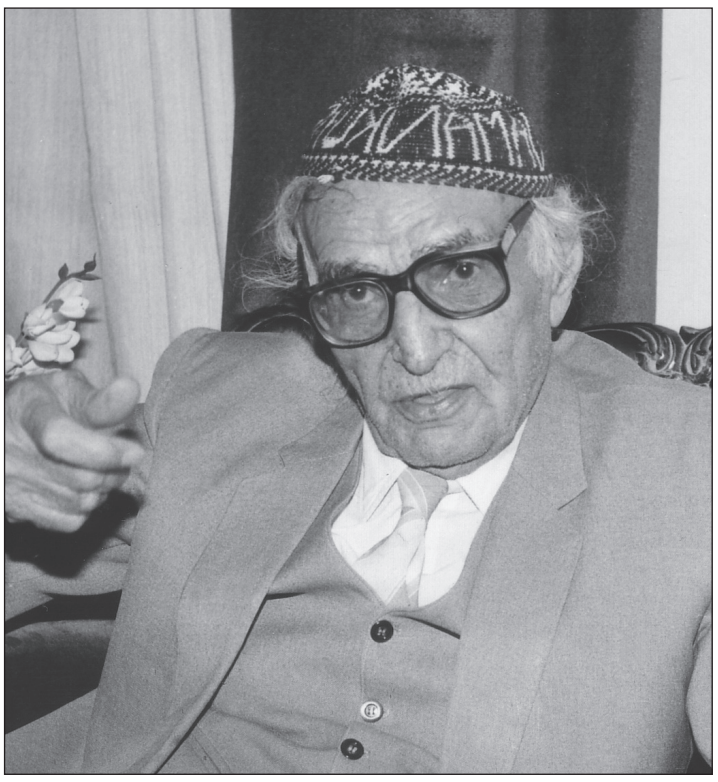
الجواهري

رُفِعَ عبد الكريم قاسم في ١٩٤٧/٤/١٢ إلى رتبة مقدم ركن، ونقل إلى لواء المشاة التاسع. وفي هذه السنة يسافر إلى خارج العراق أول مرة، وكانت واجهته لندن. كانت السفرة لأجل التطبيب الناجم عن عمله، وكذلك قيل معالجة الشق في شفته العليا، الذي ورثه منذ الصغر، وهذا ما أشار إليه بعض مُدرسيه. يمكث قاسم في لندن ويستغل الفرص الزمنية المتاحة له من أجل الاطلاع ودراسة التطور الاقتصادي الذي شهدته بريطانيا وديناميكيته، ومستويات المعيشة ونموها مقارنة بواقع العراق. ويركز الانتباه على كيفية حل مشكلة السكن. لأن هذه المشكلة كانت ولا تزال واحدة من المشاكل الاجتماعية/ الصحية المستعصية في أغلب بلدان عالم الأطراف ومنها العراق، لأن الأسر الفقيرة والفئات الوسطى المتوسطة وما دونها كانت تعاني عمق هذه الأزمة منذ ذلك الوقت. وهو بالذات عاش هذه الظروف وتحسس معاناتها على نطاقه الذاتي والاجتماعي.

من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم مبررات توجهه إلى التركيز على هذه الناحية بعد الثورة، كمحاولة لاجتثاث الصرائف وأكواخ الطين التي كانت بمثابة أحزمة بؤس تطوق

يوم في حياة عبد الكريم قاسم

نشرت مجلة لايف الامريكية في شهر آب من عام ١٩٥٨ صورا نادرة للزعيم عبد الكريم قاسم قالت انها تمثل رحلة يوم عمل في حياة قائد ثورة تموز.. ذاكرة عراقية تعيد نشر عدد من هذه الصور

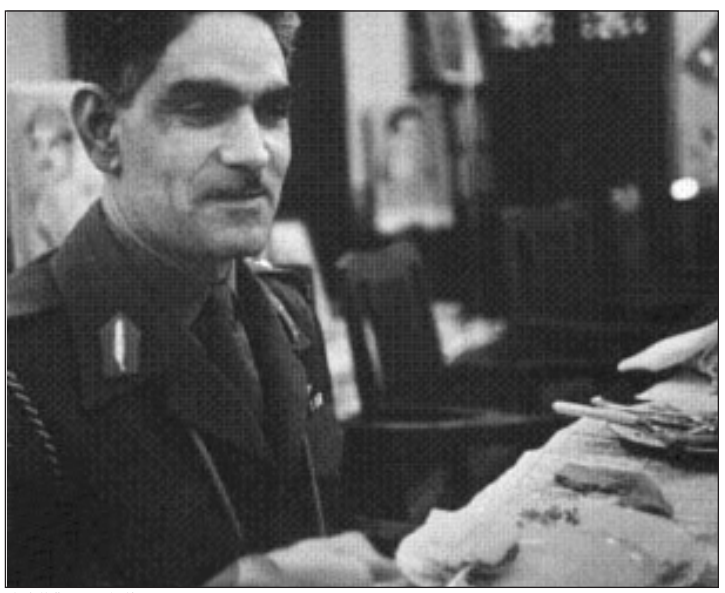
يتناول وجبة الغداء

الوصول الى وزارة الدفاع

في انتظار ساعة الغداء

المدن الكبرى. لذا لم تخل مدينة عراقية في فترة حكمه من مشروع سكني حكومي، أو على الأقل توزيع الأراضي السكنية على الجمعيات التعاونية للموظفين وأصحاب الدخول المحدودة من كسبة وحرفيين، للعمال ومراتب القوات المسلحة، بل حتى ضباطهم.

" كان قاسم مصراً ومصمماً على أنه سيوفر السكن لكل عراقي، لا يملك السكن خلال فترة قصيرة، وإن كل التشريعات التي تعرقل تنفيذ خطته هذه ستلغى وستبدل بغيرها[١] " كما يعترف بذلك حتى مناهضوه.

و" اصبح هذا الفقير المعدم ذو الثياب المهلهلة حاكماً مطلقاً، ليزحف زحف الذين كفروا على الأكواخ والصرائف وعلى كل ما فيها من تعساء وليحيلها شققاً وعمارات وبيوتا ترى أول مرة النور والكهرباء والحدائق والشوارع، منتقماً من فقره وماضيه، ثائراً على مرارة واقع البؤساء[٢] " .

لقد حفزت هذه الزيارة ذهن قاسم وروحه المتمردة على التفكير بضرورة الإسراع لتهيئة الظروف الذاتية لحركة الضباط الأحرار لأجل إنجاز التغيير الكبير المرتقب عندما يحين ظرفه الموضوعي، بغية التماثل النسبي مع الأبعاد الحضارية التي تنعم بها أوربا.

ويتعرف قاسم أثناء الزيارة عن قرب بالجواهري الكبير، الذي كان أحد أعضاء وفد نظمته السفارة البريطانية في بغداد لمجموعة من الصحفيين العراقيين لزيارة لندن والاطلاع على معالمها وتعمير، ما خربته الحرب العالمية الثانية بفترة زمنية قصيرة. [٣]مَثَلَ هذا اللقاء بين الجواهري وقاسم بداية العلاقة المتميزة و القلقة بينهما.

وبصفاء لغته واعتزازه الكبير بذاته المتمردة يصف الجواهري هذا اللقاء بالقول:

" في الملحقية العسكرية بلندن... كانت بعثة عسكرية خاصة تضم ملحقين وموفدين من ضباط يتسابقون عليَّ ويجرني الواحد بعد الأخر من أرادني ؟ وكان بينهم ضابط شاب، كان من دونهم، أشد إلحاحاً علي بأخذ حصة أكبر، أو الحصة الكبرى من الجلسات واللقاءات، من جملة ذلك أن اصطحبني إلى بيته وهو شقة متواضعة بملحقيتها. هذه " الدويرة" شهدت ثلاث لقطات، تصح أن تكون على بساطتها ذات كلمة ومغزى، لما سيكون لهذا الرجل من دور خطير في تاريخ العراق... لم يكن هذا الرَّجل سوى عبد الكريم قاسم [٤] " .

اصطحب الزعيم قاسم، الجواهري إلى مختلف مناطق لندن ليطلعه على معالمها، بعدما نفر من البرنامج الموضوع لهم ومن صحبة بعض الصحفيين الذين كانوا معه ضمن الوفد. كما كان قاسم بمثابة مترجم له عند مراجعة الأطباء وزيارة المعالم الثقافية. كان قاسم معجباً أيما إعجاب بالجواهري الكبير، في كثير من مواقفه السياسية المناهضة لسياسة نخبة الحكم وارتباطها ببريطانيا وفي دفاعه عن الفقراء والمحرومين، وفي قصائده الشعرية موضوعة وهدفاً، المتميزة بالصورة الجمالية وصفاء اللغة، وسلمها الموسيقي المنفرد في انسيابيته.

في ذات الفترة يسافر الوصي عبد الإله إلى لندن، حيث كان يقضي أجازته فيها، " وقد أرسل في طلب الجواهري، وتحادث معه طويلا حول ترشيحه إلى الانتخابات النيابية، وطلب إليه تمديد اقامته في لندن ليعود معه في وقت واحد إلى بغداد. لكن الجواهري اعتذر له بعدم امكانية بقائه لمدة أطول في لندن [٥]، وكان متضايقاً من اقامته فيها.

... خرج الجواهري من اجتماعه بعبد الإله متوجها إلى الموعد مع صاحبه (الضابط برتبة رائد)، حيث حجز له موعدا مع طبيب الاسنان وفي الطريق تحدث إليه عن الانتخابات النيابية المزورة، وخلو مجلس النواب من أصوات وطنية محترمة، لكن الضابط أنتقل بالحديث ، إلى حفلة المساء الماضي وأبدى دهشته وارتياح الجواهري. وأخذ يترجم له الخبر المنشور تحت الصورة في الجريدة وخبر رويتر قائلا ببراءة أن الشعراء مسموح لهم كل شيء، وهم يشكون من عدم وجود الحرية. أما نحن العسكريين، فلا نتمتع بأية حرية ولا نشكو من انعدامها [٦] " .

بعد ذلك، كان قاسم " يتابع مواقفي الوطنية والاجتماعية، وبخاصة الشعرية منها. وكنت الوحيد الذي يناديني بـ " الأستاذ " أمام اتباعه وغيرهم وفي أكثر من موقف... " .

كما كان قاسم منذ بدء علاقته " صادقاً معي كل الصدق وأميناً كل الأمانة ونظيفا كل النظافة في حفاظه على تلك العلاقة، وصحيح كذلك أنه لم يصل مدني واحد في العراق هذه الدرجة من الثقة والوطادة والعلاقة... حتى وصل الحد به إلى أنه أعلن وهو يفعل ما يقول: أنني لا أرد طلباً للجواهري ...[٧]" .

استمر هذا الفراق المؤجل لغاية ثورة ١٤ تموز حيث تجددت العلاقة بينهما ثانية ببعد جديد ذي علاقة خاصة ومضامين بنائية مستهدفة.. وقد " تقاسم الصديقان الزعامة!! عبد الكريم قاسم زعيم السلطة السياسية. والجواهري زعيم السلطة الثقافية وزعيم الصحافة " . وكان عبد الكريم قاسم "... يتعامل مع الجواهري صديقا وسياسياً، كما هو شاعر كبير، فيشاوره في الأوضاع السياسية، ويجالسه طويلا في الإسبوع أكثر من مرة... [١١]"

ويشير د. الأعرجي إلى واقعة ذات دلالة. يقول: " فقد كان يحز في نفسه أنّ هذه الأحزاب العراقية يوم تقتسم المناصبَ السياسية، أو يوم يُخيَّل لها أنّها ستقتسم لا ترى فيه أكثر من شاعر، ومن هنا كان يروي بمرارة أنّه زار الزعيم عبد الكريم قاسم ذات مَرّة في مقرِّه بوزارة الدفاع، فوجد الفقيد الأستاذ عامر عبد الله عنده، فكان في جلسة عامر ما يوحي أنه أعطى ظهره للجواهري، وتنبه الزعيم إلى ذلك فقال لعامر بشيء من العصبية:

عامر ، هذا الأستاذ الجواهريّ!

فعدل من جلسته [١٢]".(التوكيد من-ع.ن).

هذه الصفة التي تمتع بها الجواهري في دفاعه وتبنيه مطالب الجماهير الفقيرة وتوحده مع معاناتهم، هي التي دفعت قاسم أكثر فأكثر إلى لقياه، كمشروع مشترك وَمعلم أدبي رفيع، والذي كان آنذاك في خضم التهيئة لانضاج البعد الذاتي لحركة الضباط الاحرار. وفي الوقت نفسه إعجابُ الشاعر العميق في لا وعيه يومها بشخصية عبد الكريم قاسم وهو يحث الخطى في اشباع جزء من الحاجات المادية للجماهير الواسعة من الفئات والطبقات الكادحة التي دافع الجواهري عنها وتوحد معها وتطلعاتها.

ثم انتكست هذه العلاقة ضمن الخارطة الجديدة للقوى السياسية وموقف كل منهما إزاء ما كانت الحياة تطرحه من ضرورات ولزومات، من مهام وأعمال، وما رافقها من صراع سياسي/فكري طال المجتمع العراقي بكل مكوناته عمودياً وافقياً، وبالتالي أوجد ما أوجد من تفسيرات مختلفة ومتباينة لحل مثل هذه الإشكاليات.

وحدث الافتراق بينهما والذي كان للبعد الذاتي فيه دور كبير لكلا الطرفين.. وإن كان للجواهري الكبير وروحه المتمردة ونرجسيته العالية القدح المعلى في ذلك وعدم تحقيق " أحلام الجواهري التي كانت قد لازمته أربعين عاماً في ان يصبح وزيرا "... ومن شعوره العميق بأنه هو الزعيم الحقيقي الذي عليه أن يُوجِّه وليس سواه سواء أكان هؤلاء الزعماء زعماء سياسيين، ام جمهوراً، أو احزابا [١٣] " . وقد عبر عنها بعد ثلاثة عقود من الزمن في مذكراته ، بصورة غير متسقة مع ماهية ذاته، ولا مع واقع صيرورتها الموضوعية، وغير مقنعة لا لنفسه ولا للآخرين.

يقول الجواهري: " ...غير أني أستطيع التأكيد ثانيةً أن عبد الكريم قاسم كان يملك ضميراً حياً ونزاهة نادرة، وبساطة في اللباس والحياة والمأكل، مما جعله يضاف إلى قائمة المترفعين عن المظاهر والمكاسب وجاه الثورة وهو ما أغفله الكثيرون من الكتاب والصحفيين والمؤرخين ... وأراها مناسبة للقول إن الكثيرين من هؤلاء لم يتعاملوا مع التاريخ ولا أمانة مع واقع حال هذا الرجل وكثيرون منهم كتبوا إما بدوافع سياسية أو بدوافع شخصية أو بدوافع مصلحية... الاسباب التي جعلت اكثرهم يبتعد عن الحقيقة... وبذلك لم أعتمد أحداً منهم وأنا أكتب تاريخ هذا الرجل إلا القلة النادرة .

ويتعرف قاسم أثناء الزيارة عن قرب بالجواهري الكبير، الذي كان أحد أعضاء وفد نظمته السفارة البريطانية في بغداد لمجموعة من الصحفيين العراقيين لزيارة لندن والاطلاع على معالمها وتعمير، ما خربته الحرب العالمية الثانية بفترة زمنية قصيرة.◁3▷ مَثَلَ هذا اللقاء بين الجواهري وقاسم بداية العلاقة المتميزة والقلقة بينهما.

يستمع الى الاغاني

يستقبل المواطنين في مكتبه

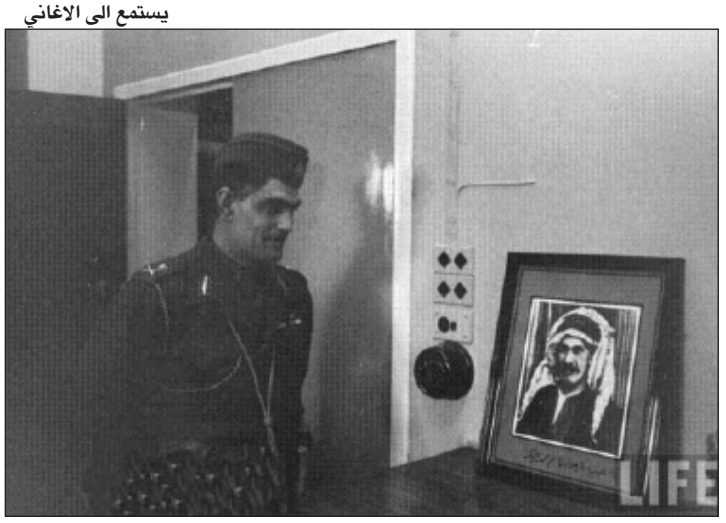
ينظر الى صورة ابيه الحاج قاسم محمد البكر

في حديقة منزله يطعم الكلاب

في ذكرى وثبة كانون عام 1948

حامد الحمداني

ورفعت الجماهير شاعر الوثبة « الجواهري » وتردد صوته !
يوم الشهيد تحية وسلام بك والنضال تؤرخ الاعوام

ممهدات الثورة

سقطت وزارة السويدي، ليؤلف أرشد العمري وزارة جديدة، ادعى حين تأليفها أنها جاءت لإجراء الانتخابات النيابية، لكنها في حقيقة الأمر جاءت لتصفية الحياة الحزبية، وشل الصحافة، والحريات العامة، وبدأت وزارة العمري تمارس سياسة القمع، مما دفع بالأوضاع نحو التدهور من جديد،

وجاءت قضية فلسطين، وقرار اللجنة البريطانية . الأمريكية القاضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود القادمين من مختلف أنحاء العالم، تنفيذا لوعد(بلفور) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد أدى ذلك القرار إلى إثارة الغضب الشعبي العارم في كافة أنحاء العالم العربي، وقيام التظاهرات الجماهيرية الواسعة في بغداد وسائر المدن الأخرى ضد السياسة البريطانية والأمريكية وضد حكومة ارشد العمري الممالئة للإنكليز، وقد لعب الحزب الشيوعي دوراً طليعيا في تلك التظاهرات الكبرى، التي جرت في ٢٨ حزيران والتي قابلتها الحكومة وأجهزتها بالرصاص، حيث استشهد العديد من المواطنين، وجرح أعداد كثيرة أخرى، وقامت الحكومة باعتقال المئات من المحتجين على سياستها .

وجاءت أزمة الحبوب وفقدان رغيف الخبز في مطلع عام ١٩٤٧ لتصاعد حدة التناقض بين الشعب وحاكميه، ولترفع من حرارة الغليان الشعبي .

فبسبب سياسة الحكومة الخاطئة ، حيث سمحت بتصدير كميات كبيرة من الحبوب، إرضاءً لكبار الإقطاعيين والملاكين الزراعيين، على الرغم من سوء الموسم الزراعي ذلك العام بسبب شحة الأمطار، ورغم كل التحذيرات التي وُجهت للحكومة من خطورة الوضع، وضرورة منع التصدير ذلك العام، إلا أن الحكومة أغمضت عيونها عن تلك التحذيرات، واستمرت في سياستها المتعارضة ومصالح الشعب وحياته المعيشية، مما سبب فقدان الحبوب في الأسواق، وارتفاع أسعارها، وقد لاقى الشعب صعوبات بالغة في الحصول على رغيف الخبز الذي اشتهر في تلك الأيام ب (الخبز الأسود) لكثرة ما خلط فيه من مواد غريبة، وكانت صفوف المنتظرين أمام المخابز تثير الأسى والحزن على ما يلاقيه الناس للحصول على الخبز .

لقد كانت أزمة الخبز أحد الأسباب الرئيسية لقيام وثبة كانون الثاني المجيدة في مطلع عام ١٩٤٨، فقد بلغ السيل الزبى. كما يقول المثل . وكانت الأوضاع تنتظر من يشعل الشرارة لتنفجر ثورة عارمة ضد نظام الحكم القائم .

وجاء تسرب أنباء عن وصول وفد بريطاني بصورة سرية لأجراء مفاوضات مع حكومة صالح جبر لوضع مسودة معاهدة جديدة تحل محل معاهدة ١٩٣٠، وتبين أن المفاوضات بين الطرفين كانت قد بدأت في ٨ مايس١٩٤٧ واستمرت حتى ١٧ منه .

وتم إجراء المفاوضات في قصر الرحاب، تحت أشراف الوصي عبد الإله الشخصي . كما سافر عبد الإله إلى لندن في ١٥ تموز، وأجرى مباحثات مع المستر (بيفن) استكمالاً للمحادثات التي بدأت في بغداد، وبعد عودة الوصي إلى العراق استأنفت المباحثات بين الطرفين في ٢٢ تشرين الثاني، واستمرت حتى ٤ كانون الأول، وكان الجانب البريطاني يتقدم بمسودات متعددة للمعاهدة الجديدة،وسافر (نوري السعيد)و (فاضل الجمالي)وزير الخارجية إلى لندن، وأجريا لقاءات متعددة في وزارة الخارجية البريطانية، حيث قدم لهما مساعد وزير الخارجية مسودة جديدة للمعاهدة، وقد اتصل نوري السعيد برئيس الوزراء (صالح جبر) داعيا إياه إلى الحضور إلى لندن لاستكمال المباحثات حول مسودة المعاهدة، وقد لبى صالح جبر الدعوة،وغادر إلى لندن وبصحبته وزير الدفاع (شاكر الوادي) و(توفيق السويدي)بعد الاجتماعين الذين تمم عقدهما في قصر الرحاب، برئاسة عبد الإله، وكان الاجتماع الأول في ٢٨ كانون الأول، وضم ذلك الاجتماع ٧ رؤساء وزارات سابقين، و١٢ وزيراً بالإضافة إلى رئيس الديوان الملكي (أحمد مختار بابان)، ثم تلاه الاجتماع الثاني في ٣ كانون الثاني حيث نوقشت فيه النقاط الأساسية التي سيتم التفاوض بشأنها. ويقول السيد توفيق السويدي في مذكراته أن صالح جبر كان قد وزع على الحاضرين مسودة المعاهدة باللغة الإنكليزية، وعندما طالبته بنسخة عربية أجابني أنه لم يتسن لنا ترجمتها إلى العربية، ويضيف السويدي قائلا بأنه لم يجد ما يستوجب الاعتراض من الجانب السياسي، ولكن وجدت الجانب العسكري عليه الكثير من الاعتراضات، وقد رد عليّ صالح جبر بان هذا الأمر مدروس من قبل، ومتفق عليه بهذا الشكل، وليس فيه ما يستوجب الاعتراض، الأمر الذي دل بوضوح على أن المعاهدة قد وضعت، واتفق على موادها سلفاً،وإن الوصي أراد إضفاء الشرعية عليها، وفي نهاية الاجتماع تم تخويل الوفد العراقي برئاسة(صالح جبر)صلاحية التوقيع على المعاهدة (٢)

وعندما سرت أنباء اجتماعات قصر الرحاب، سارعت الأحزاب الوطنية الى الاحتجاج عليها بسبب استبعاد الشخصيات الوطنية منها، أصدرت بيانات تندد بالحكومة وتستنكر سعيها لربط العراق بمعاهدة جديدة اشد وطأة، وتمتهن سيادة واستقلال البلاد، مستهترة بإرادة الشعب وحقوقه المشروعة، وظهرت تلك البيانات في الصحف في اليوم التالي .

لكن الحكومة مضت في خططها لإتمام الصفقة مع المحتلين البريطانيين متحدية إرادة الشعب، حيث أعلن عن سفر الوفد العراقي إلى لندن في ٥ كانون الثاني ١٩٤٨ .

وجاءت تصريحات وزير الخارجية فاضل الجمالي، والتي أشاد فيها بالمعاهدة العراقية البريطانية الموقعة في حزيران ١٩٣٠، وبجهود الحكومة لعقد معاهدة جديدة مع الحليفة بريطانيا، وأهمية وضرورة عقدها، لتشعل أول شرارات الوثبة، فقد كانت تصريحات الجمالي استفزازية وقحة دفعت طلاب الكليات إلى الخروج في تظاهرات صاخبة تستنكر سعي الحكومة لعقد المعاهدة الجديدة، وقام طلاب كلية الحقوق بدور بارز في تلك التظاهرات، لكن الحكومة سارعت إلى دفع قوات الشرطة للتصدي للتظاهرات مستخدمة أساليبها القمعية المعروفة لتفريقها، وقد أصيب عدد من الطلاب في الصدام، واعتقل البعض الأخر، وأقدمت الحكومة على تعطيل الدراسة في كلية الحقوق، في ٥ كانون الثاني، وقد احتج أساتذة الكلية على اجراءات الحكومة وأساليبها القمعية في تعاملها مع الطلاب المتظاهرين، لكن الحكومة ردت باعتقال عدد من أساتذة الكليات والطلاب، واتهمتهم بحمل المبادئ الهدامة .

ونتيجة لسلوك الحكومة هذا إزاء الطلاب وأساتذة الكليات أعلن طلاب الكليات والمعاهد العالية إضرابهم عن الدراسة، وخرجوا في تظاهرات صاخبة سارت حتى بناية مجلس النواب للاحتجاج على الحكومة .

وبسبب تسارع الأحداث وتطورها،حاول وكيل رئيس الوزراء (جمال بابان)

على أثر إعلان نص المعاهدة التي وقعها (صالح جبر) مع (ارنست بيفن) وزير الخارجية البريطاني اجتاحت البلاد موجة عارمة من الغضب الشعبي العارم، ونشرت الأحزاب الوطنية في 18 كانون الثاني البيانات المنددة بالحكومة والمعاهدة، وطالبت البيانات باستقالة حكومة صالح جبر ورفض المعاهدة التي جاءت أقسى من معاهدة 1930 وأشد وطأة .

تهدئة الأوضاع فأمر بإعادة فتح كلية الحقوق،وإطلاق سراح الطلاب وأساتذتهم المعتقلين .

اندلاع الوثبة

على أثر إعلان نص المعاهدة التي وقعها (صالح جبر) مع (ارنست بيفن) وزير الخارجية البريطاني اجتاحت البلاد موجة عارمة من الغضب الشعبي العارم، ونشرت الأحزاب الوطنية في ١٨ كانون الثاني البيانات المنددة بالحكومة والمعاهدة، وطالبت البيانات باستقالة حكومة صالح جبر ورفض المعاهدة التي جاءت أقسى من معاهدة ١٩٣٠ وأشد وطأة .

وسارع طلاب الكليات والمعاهد العالية إلى إعلان الإضراب العام، وتشكيل (لجنة التعاون الطلابي) التي ضمت مختلف الاتجاهات السياسية والحزبية، وقامت التظاهرات الصاخبة في بغداد، ثم ما لبثت أن امتدت إلى مختلف المدن العراقية في ١٨ كانون الثاني، وتصاعدت موجة التظاهرات في اليوم التالي عندما انضم إليها العمال والكادحين من سكان الصرائف المحيطة ببغداد،والكسبة والمدرسين والمحامين وسائر طلاب المدارس الثانوية والمتوسطة، واتجهت التظاهرات الى بناية مجلس النواب، وكانت الجماهير تنظم إليها خلال مسيرتها، والكل يهتفون بسقوط الحكومة وحل المجلس النيابي، ورفض المعاهدة .

سارعت الحكومة إلى إصدار بيان أذيع من دار الإذاعة، هددت فيه بقمع التظاهرات بكل الوسائل والسبل، وقد شكل البيان استفزازاً كبيراً لجماهير الشعب دفعهم إلى تحدي السلطة،وأعلن طلاب المدارس كافة تضامنهم مع جماهير الشعب وتحدي البيان.

وفي ٢٠ كانون الثاني انطلقت التظاهرات الواسعة يتقدمها طلاب كلية الشريعة بجببهم وعمائمهم البيض هاتفين بسقوط حكومة صالح جبر والمعاهدة، وجابهتهم قوات كبيرة من الشرطة مطلقة الرصاص على المتظاهرين مما أوقع العديد من الشهداء والجرحى الذين نقلوا إلى المعهد الطبي والمستشفى التعليمي بجوار كليتي الطب والصيدلة، وقد أدى ذلك الصدام إلى انتشار لهيب الوثبة في بغداد وسائر المدن الأخرى، وتصاعدت موجات المظاهرات التي اشتركت فيها جميع فئات الشعب من الطلاب والعمال والمثقفين والكسبة والكادحين من سكان الصرائف،واشتبكوا مع قوات الشرطة التي لم تستطع مجابهة المتظاهرين وولت هاربة رغم السلاح الذي كانت تحمله بين أيديها، ولازلت أذكر تلك الأيام المجيدة من تاريخ كفاح الشعب العراقي بدقائقها، حيث كنت أحد الطلاب المشاركين فيها وشاهدت شرطة النظام وهي تولي هاربة من غضب الجماهير الشعبية وأسفرت مظاهرات يوم الثلاثاء ٢٠ كانون الثاني في بغداد عن استشهاد أربعة من الطلاب والمواطنين إضافة إلى أعداد كبيرة من الجرحى، لكن تلك التضحيات كانت حافزاً قوياً دفع جماهير الشعب على مواصلة الكفاح حتى تحقيق أهدافها في إسقاط الوزارة والمعاهدة معاً .وفي يوم الأربعاء ٢١كانون الثاني توجهت جماهير الشعب نحو المستشفى التعليمي لاستلام جثث الضحايا، لكن الشرطة فاجأتهم بوابل من الرصاص، وحاولت الجماهير الاحتماء في بناية كليتي الطب والصيدلة، وبناية المستشفى، ولاحقتهم الشرطة داخل البنايات المذكورة وقتلت أثنين منهم، كان أحدهم طالبا في كلية الصيدلة مما أشعل الموقف، ودفع عميدي كليتي الطب والصيدلة وأساتذة الكليتين إلى الاستقالة احتجاجا على انتهاك حرمة الكليتين، واحتجت الجمعية الطبية العراقية ببيان شديد اللهجة على تصرف الحكومة .

وتدهور الوضع في بغداد والمدن الأخرى بسرعة أرعبت الحكومة والوصي (عبد الاله) الذي سارع لدعوة أعضاء الحكومة، وعدد من رؤساء الوزارات السابقين، وممثلي الأحزاب السياسية الوطنية، إلى عقد اجتماع في قصر الرحاب في ٢١كانون الثاني، لتدارس الوضع، والخروج من المأزق الذي وضعت الحكومة نفسها فيه، وكان من بين الحاضرين الشيخ (محمد الصدر) و (جميل المدفعي) و (حكمت سليمان) و (حمدي الباجه جي) و (ارشد العمري) و (نصرت الفارسي) و (جعفر حمندي) و (محمد رضا الشبيبي) و (ومحمد مهدي كبه) زعيم حزب الاستقلال و (كامل الجادرجي) زعيم الحزب الوطني الديمقراطي و (علي ممتاز الدفتري)ممثلا لحزب الأحرار، و (عبد العزيز القصاب) و(ادق البصام) ونقيب المحامين (نجيب الراوي) .

وجرت في الاجتماع نقاشات حامية حول تطور الأوضاع بين الموالين للسلطة والمعارضين لها، وقد اتهم الوزير(عبد المهدي)المتظاهرين بأنهم عناصر شيوعية هدامة، ورد عليه السيد كامل الجادرجي بقوله (إن المتظاهرين هم عناصر وطنية وقومية عربية صرفه)

شعر الوصي عبد الإله بخطورة الموقف، وعدم استطاعة الحكومة مجابهه الشعب، وبعد مداولات دامت أكثر من خمس ساعات أصدر الوصي بياناً إلى الشعب يعلن فيه تراجع الحكومة عن المعاهدة ومما جاء في بيانه قوله ○ إذا كان الشعب لا يريد هذه المعاهدة فنحن لا نريدها أيضاً □ .

لقد أراد الوصي أن يمتص ببيانه هذا،الغضب الجماهيري العارم، الذي بات يهدد النظام، وهو في حقيقة الأمر كان مرغماً على تلك الخطوة وهذا ما أكده وكيل رئيس الوزراء (جمال بابان) نفسه للسيد عبد الرزاق الحسني،بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من أن الوصي عبد الإله أصّر في بادئ الأمر على استخدام الشدة والعنف مع المتظاهرين، وحصدهم حصداً !!، وبرر سكوته عن ذلك طيلة تلك المدة إرضاءً للوصي وتستراً على موقفه من قصة رفض الشعب للمعاهدة التي عقدت بمعرفته وبتوجيهاته .

أدى بيان الوصي عبد الإله إلى حدوث انشقاق في صفوف الأحزاب الوطنية،فقد انشق حزب الاستقلال داعياً جماهير حزبه إلى التوقف عن التظاهر بعد بيان الوصي، فيما أصرت بقية القوى الوطنية على مواصلة الكفاح حتى سقوط حكومة صالح جبر، وقيام حكومة حيادية تأخذ على عاتقها إجراء انتخابات حرة ونزيهة، وتطلق سراح كافة المعتقلين السياسيين .

وفي الوقت الذي كان الوصي يسعى بكل جهده لتهدئة الوضع، طلع علينا صالح جبر . رئيس الوزراء . بتصريح في لندن، في ٢٢ كانون الثاني، يتهم المتظاهرين بأنهم عناصر هدامة من الشيوعيين والنازيين الذين اعتقلهم عام ١٩٤١ بعد إسقاط حكومة الكيلاني على يد جيش الاحتلال البريطاني . وقد توعد جبر في تصريحه بالعودة إلى بغداد لسحق رؤوس العناصر الفوضوية !!!، وكان صالح جبر بتصريحه هذا قد صب الزيت على النار، فانطلقت مظاهرات عارمة ضد الحكومة.

وفي ٢٥ منه أعدت الحكومة البريطانية طائرة خاصة لنقل صالح جبر وبقية أعضاء الوفد إلى بغداد لمعالجة الوضع، وكبح جماح المعارضة الوطنية، لكن الطائرة لم تستطع الهبوط في مطار بغداد لذي طوقته الجماهير، واضطرت إلى الهبوط في القاعدة الجوية البريطانية في الحبانية، وتم نقله والوفد المرافق له بواسطة المصفحات والمدرعات، إلى قصر الرحاب خفية، حيث التقى بالوصي بحضور نوري السعيد، وتوفيق السويدي، وقد اتهم صالح جبر وكيله جمال بابان بالتهاون في قمع التظاهرات، وطلب من الوصي منحه الصلاحيات اللازمة للقضاء على الثورة الشعبية خلال ٢٤ ساعة.

لكن جمال بابان أكد استحالة إنهاء التظاهرات دون استقالة الحكومة، وأيده في موقفه جميل عبد الوهاب .وزير الشؤون الاجتماعية ، فيما وقف نوري السعيد الى جانب صالح جبر داعياً إلى استخدام أقسى أساليب العنف ضد المتظاهرين، فما كان من جمال بابان إلا أن قدم استقالته من الحكومة احتجاجا على انتقادات صالح جبر .

وفي ليلة ٢٦ / ٢٧ كانون الثاني، أصدر صالح جبر بياناً يحذر فيه أبناء الشعب من التظاهر ويتوعدهم بإنزال العقاب الصارم بهم، وخول متصرفي الألوية(المحافظين) وأمين العاصمة ومدراء الشرطة صلاحية استخدام السلاح لتفريق التظاهرات، وإنزال قوات كبيرة من الشرطة لتحتل المراكز الحساسة في العاصمة وبقية المدن الأخرى .

وتحدت الجماهير الشعبية صالح جبر ونوري السعيد، واجتاحت شوارع بغداد وسائر المدن الأخرى تظاهرات هادرة، منددة بالحكومة، ومطالبة بسقوطها وسقوط المعاهدة، وبات الوضع خطيراً جداً في تلك الليلة، حيث كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق من قبل الشعب من جهة، والحكومة وقواها القمعية من جهة أخرى، انتظاراً لصباح اليوم التالي ٢٧ كانون الثاني . فلما حل ذلك الصباح تحولت شوارع بغداد والمدن الأخرى إلى ساحات حرب حقيقية، فقد نشرت الحكومة قوات كبيرة من الشرطة المزودة بالمصفحات في الشوارع الرئيسية، فيما نصبت الرشاشات الثقيلة فوق أسطح العمارات العالية ومنارات الجوامع، استعداداً للمعركة الفاصلة .

وفي الساعة التاسعة صباحاً بدأت الجماهير الشعبية في الأعظمية والكاظمية، وفي جانبي الكرخ ،والرصافة تتجمع في الساحات العامة، ثم انطلقت في مسيرتها للالتقاء ببعضها، وقابلتها قوات الشرطة بوابل من رشقات الرصاص، استشهد على أثرها أربعة من المتظاهرين، ووقع العديد من الجرحى، مما زاد في اندفاع الجموع الهادرة واندفاعها، وإصرارها على التصدي لقوات القمع، وتقدمت تظاهرتان من جهة الأعظمية ،ومن جوار وزارة الدفاع لتطويق قوات الشرطة التي حاولت الانسحاب إلى شارع (غازي) سابقا، الكفاح حالياً، ولاحقتها جموع المتظاهرين مشعلة النيران بسياراتها ومصفحاتها، واستولت الجماهير على مركز شرطة (العباخانة)،وتوجهت إلى ساحة (الأمين)، (الرصافي حالياً) في طريقها للالتحام بجماهير الكرخ ،عبر جسر المأمون (الشهداء حالياً) .

كانت قوات الشرطة قد استعدت عند مدخل الجسر، حيث نصبت رشاشاتها فوق أسطح العمارات ومنارات الجوامع عند طرفي الجسر في جانبي الكرخ ،والرصافة لمنع مرور المتظاهرين عبر الجسر، ومعهم أمر بإطلاق النار على المتظاهرين المندفعين نحو الجسر، واستطاعت قوات الشرطة إيقاف زحف الجماهير نحو الجسر من جانب الرصافة في بادئ الأمر، مما دفع بجماهير الكرخ إلى الاندفاع نحو الجسر بغية عبوره، والالتحام بجماهير الرصافة المتواجدة في ساحة الأمين .

وعند منتصف الجسر جابهتهم قوات الشرطة بنيران رشاشاتها المنصوبة فوق منارتي جامعي (الوزير) و (الآصفية) في جانب الرصافة،ومنارة جامع (حنان) في جانب الكرخ ومن المدرعات الواقفة في مدخل الجسر، وقد استشهد ما يزيد على ٤٠ مواطنا، وجرح اكثر من ١٣٠ آخرين وتناثرت جثث الضحايا فوق الجسر.

اشتد ضغط الجماهير في ساحة الأمين على قوات القمع مما أجبرها على الانسحاب نحو الجسر، وتقدم المتظاهرون عبر الجسر، ومرة اخرى أنهمر عليهم الرصاص واستشهد عدد آخر وجرح الكثيرون، لكن الجموع ازدادت بأساً واندفاعاً أوقع الهلع في صفوف قوات القمع التي خافت أن تقع في أيدي الجماهير الغاضبة فولت هاربة تاركة ساحة المعركة تملأ جثث الشهداء والجرحى .

حاول عبد الإله استخدام الجيش ضد الشعب، وأجرى اتصالا تلفونياً مع رئيس أركان الجيش الفريق (صالح صائب الجبوري) في ٢٧ كانون الثاني، حوالي الساعة الثالثة والنصف عصراً، طالباً منه إدخال عدد من قطعات الجيش إلى شوارع بغداد، لكن الجبوري حذر الوصي من مغبة إدخال الجيش في شوارع بغداد، ولاسيما انه لا يزال يعاني مرارة الاحتلال البريطاني عام ١٩٤١، وأكد الجبوري للوصي عدم ضمان وقوف الجيش ضد الشعب، واقتنع الوصي برأي الجبوري،وطلب منه البقاء على اتصال دائم بالقصر حتى ينجلي الوقف

وفي الوقت الذي كانت الأزمة تتصاعد، قدم ٢٠ نائبا في البرلمان استقالتهم، احتجاجا على الأساليب القمعية للحكومة ضد أبناء الشعب، بالإضافة ألى استقالة وزير المالية (يوسف غنيمة)ووزير الشؤون الاجتماعية (جميل عبد الوهاب) .

وفي الوقت نفسه كان عبد الإله مجتمعا في قصر الرحاب مع الشيخ (محمد الصدر) و (نوري السعيد) لبحث الموقف وسبل الخروج من الأزمة .

كان نوري السعيد يلح على الوصي بقمع الحركة الشعبية، وطالب بإعلان الأحكام العرفية ومنع التجول، لاحتواء التظاهرات، فيما نصح الشيخ محمد الصدر الوصي بإقالة الوزارة لتهدئة الأوضاع، ولاسيما وأن التظاهرات قد امتدت إلى جميع المدن العراقية، وفقدت الشرطة سيطرتها على الموقف، وأشعل المتظاهرون النار في مكاتب الإرشاد البريطانية، في السليمانية، وكركوك والموصل . وأخذ الوصي برأي الشيخ الصدر على مضض،رغم كونه كان في الواقع يسعى لقمع الحركة الشعبية، وأوعز إلى رئيس الديوان الملكي (أحمد مختار بابان) للاتصال بصالح جبر والطلب منه تقديم استقالة حكومته، في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ الذي شهد أشد المعارك بين الشعب وقوات الحكومة، وقدم صالح جبر استقالته التي تم قبولها فوراً، وتوجه الوصي بخطاب إلى الشعب من دار الإذاعة، أعلن فيه استقالة الحكومة،داعيا الشعب للإخلاد إلى الهدوء !!.

حقق الشعب في وثبته هدفين،فقد اسقط المعاهدة،واسقط الحكومة،لكن الوثبة لم تستطع حسم الصراع مع السلطة الموالية للمحتلين البريطانيين، على الرغم من هروب نوري السعيد وصالح جبر إلى خارج العراق ريثما تهدأ الأوضاع، فقد كانت حياتهم مهددة بخطر حقيقي لو تسنى للجماهير الوصول إليهما .

توفيق السويدي

صالح جبر

ثغرة بين البلاط وأعوان الهاشمي

عبد القادر البراك

كانت اجتماعات الصليخ (ردة فعل) للانتخابات النيابية التي اجرتها وزارة علي جودة الايوبي وهي اول انتخابات تجرى في عهد الملك غازي فقد حز في نفس رشيد عالي الكيلاني. ان يلعب الايوبي اكبر لعبة في الصراع على الحكم فالايوبي الذي نصح الملك غازي يوم كان رئيسا للديوان الملكي بعدم الاستجابة لاشتراط الكيلاني حل المجلس النيابي القائم آنذاك والشروع بانتخابات جديدة تجريها وزارة ما بحجة عدم ملاءمة الظروف عمد الى ذلك ليقطع عليه طريق استلام الحكم وتامين الطريق لان يتولى هو رئاسة الوزارة مع الاحتفاظ بمنصبه في البلاط واعتبار الظروف الملائمة في وقت قصير ليجري اسوأ انتخابات عرفها تاريخ العراق جمع الايوبي فيها الكثير من الاعوان والانصار من غير المسبوقين بالحصول على النيابة واستبعاد الكثير من الشخصيات السياسية المعروفة بولائها لياسين الهاشمي وحكمة سليمان ورشيد عالي الكيلاني وهم اقطاب حزب الاخاء الوطني!

وهنا تزعم الكيلاني المعارضة في مجلس الاعيان فوجه الى وزارة الايوبي اعنف الحملات تمثلت احسن تمثيل في العريضة الجوابية على خطاب العرش التي كتبها الكيلاني بنفسه ورفعتها رئاسة الاعيان الى (السيدة الملكية) واتصل بصديقه ونسيبه حكمة سليمان ليتولى تاليب العشائر التي يرتبط رؤساؤها بهما ارتباطا وثيقا للاخلال بالامن واشغال وزارة الايوبي الضعيفة بحيث لا تستطيع الاستمرار في الحكم واقتصر نشاط الهاشمي على التنديد بالوزارة في المجالس التي يرتادها الى جانب اشرافه على المقالات التي تكتبها جريدة الحزب التي كان يساهم فيها فهمي المدرس ورفائيل بطي وباقر الشبيبي وغيرهم وقد اتسمت بالشدة والعنف وتسببت بإقامة الدعاوي الجزائية ضد المدير المسؤول للجريدة وتعطيل غيرها من التي صدرت بديلا عنها!

ويبدو ان الهاشمي لم يتصل مبكرا باجتماعات الصليخ التي كانت تعقد في دار حكمة سليمان مرة وفي دار الكيلاني مرة اخرى وحين اطلع الهاشمي على انباء هذه الاجتماعات اتصل بهما فتخليا له عن (الزعامة) بعد ان ازداد عدد رؤساء العشائر من اصدقاء الهاشمي الذين اخذوا يتوافدون لحضور هذه الاجتماعات ولم تكن الحكومة التي الفها المدفعي واعقبه الايوبي ثم المدفعي ثانية والتي سميت بوزارة الاحد عشر يوما تجهل هذه الاجتماعات وما يدور فيها ولكن انشغالها بقمع الحركات العشائرية وقصر مدة اضطلاعها بالمسؤوليات لم يمكناها من الحد من هذه الاجتماعات.

ففي احدى جلسات مجلس الاعيان وبعد تولي الهاشمي الوزارة هاجم المدفعي مؤتمرات الصليخ واعتبرها من عوامل تضعضع الامن والاستقرار في البلاد وقال انه كان يعلم بها لكن الهاشمي اجابه بنفي ما اتهم به في اجتماعات الصليخ وقال انه -أي المدفعي- كان مقصرا حين لم يبادر الى مساءلة المجتمعين في الصليخ!

اعود فاقول ان الهاشمي كان يندد بحكومات الايوبي والمدفعي ونظام الحكم مما حمل البعض على الظن انه يريد تبديل نظام الحكم ولعل احد المحسوبين على الحكومة اشاع ذلك لاحداث ثغرة بين البلاط واعوان الهاشمي! ولقد علمت ان الشيخ حبيب الخيزران وكان مبعدا عن النيابة بسبب اندفاعه في المعارضة خلال عضويته بالهاشمي وسليمان فكان طبيعيا ان يحضر مؤتمرات الصليخ ويساهم فيها ولان الخيزران من ذوي الذكاء، فقد سال الهاشمي عما اذا كان الإصلاح سيتم بابدال نظام الحكم فاستشعر الثاني بالحرج واكد حرصه على النظام والدستور والهيئات التشريعية والتنفيذية!

وقيل لي ان النائب (سماوي الجلوب) من عشائر الفتلة في الهندية اعترض سلفا على تمكين فلان وفلان من دخول المجلس النيابي لانهم لم يساعدوا المعارضة في أعمالها فأجابه الهاشمي بلباقة ان مجلس الامة قد وجد لجميع ابناء البلاد المؤهلين لذلك ولا يكفي ان يكون احدهم قد اطلق خمس طلقات ليكون في موقع اقتدار وشاء القدران يكون (سماوي الجلوب) من الاعيان ويساهم بحركة تآمر ضد وزارة حكمة سليمان بعد الانقلاب ولكنه مات قبل ان تسقط الحصانة البرلمانية عنه كما رفعت عن محسن ابو طبيخ وعبد الواحد الحاج سكر فسيقا الى المحاكم وزجا في سجن السليمانية!

لقد تسربت الي معلومات عن بعض ما دار في مؤتمرات الصليخ قبل ان يتولى الهاشمي الوزارة التي لم يشترك فيها حكمة سليمان بسبب عدم توليه وزارة الداخلية التي طلب اليه (جماعة الاهالي) ان يشترط توليها اذا ما شارك في الحكم فقد علمت ان مؤتمرات الصليخ استمرت في الانعقاد بشكل او اخر فأسهمت فيها جماعة جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي وجماعة الاهالي حتى استطاع حكمة سليمان ان يجتذب اليها الفريق بكر صدقي الذي قام بالانقلاب المعروف ضد وزارة الهاشمي والاتيان بحكمة سليمان.

بقي ان اقول ان ياسين الهاشمي قد نفض يديه من اعتماده على رؤساء العشائر الذين اخذوا يتنافسون على (النيابات) قبل ان تؤدي مؤتمرات الصليخ الى تبوئه رئاسة الوزراء ولكي يتحلل من الوعود التي قطعها لاعوانه في الحزب والمؤتمرات السالفة الذكر ولكي لا يتحمل منة الاتيان للحكم من قبل رؤساء العشائر وكان هذا السبب مضافا الى اسباب اخرى دفعة الى حل حزبه (الاخاء الوطني) وحل بقية الاحزاب وهي سنة آخذ بها في ما بعد نوري السعيد حين اجهز على الحياة الحزبية برمتها ليتخلص من الذين كانوا يتسابقون على تولي الوزارات حين يدعون اليها دون استشارته ودون العودة الى الحزب (حزب الاتحاد الدستوري) مما احدثه موقفه في الهزيع الاخير من حكمه حتى ثار على الوصي لاسناده الوزارة الى فاضل الجمالي مرة والى عبد الوهاب مرجان مرة اخرى دون ان يستشيره باعتباره صاحب الاغلبية البرلمانية!

جريدة الاتحاد كانون الاول 1987

ويبدو ان الهاشمي لم يتصل مبكرا باجتماعات الصليخ التي كانت تعقد في دار حكمة سليمان مرة وفي دار الكيلاني مرة اخرى وحين اطلع الهاشمي على انباء هذه الاجتماعات اتصل بهما فتخليا له عن (الزعامة) بعد ان ازداد عدد رؤساء العشائر من اصدقاء الهاشمي الذين اخذوا يتوافدون لحضور هذه الاجتماعات ولم تكن الحكومة التي الفها المدفعي واعقبه الايوبي ثم المدفعي ثانية والتي سميت بوزارة الاحد عشر يوما تجهل هذه الاجتماعات وما يدور فيها ولكن انشغالها بقمع الحركات العشائرية وقصر مدة اضطلاعها بالمسؤوليات لم يمكناها من الحد من هذه الاجتماعات.

الايوبي ومجموعة من السياسيين العراقيين

ياسين الهاشمي

حكمة سليمان

فهمي المدرس

ذكريات اذاعية

رئيس وزراء يطلب تمديد أغنية بدل نشرة الأخبار! وآخر الملوك كان من هواة سماع أم كلثوم!

محمد علي كريم

كانت إذاعة بغداد تستقبل عددا من الشخصيات الحكومية بين الفينة والأخرى لإشباع هوايتها وتسجيل ما تملكه الإذاعة من تسجيلات فنية او تملكه الإذاعة من تسجيلات فنية او الاستماع الى من يحبون من الفنانين قبل ان تستعمل أجهزة التسجيل فكان بعضهم يطلب ان نزوده بتلاوات القران الكريم من مقرئين يحظون باعجابه ومن هؤلاء اذكر وزير الداخلية الاسبق سعيد قزاز فقد كان من المعجبين بالقارئ المرحوم محمد زكي شرف فطلب ان نسجل له تلاوات هذا القارئ فسجلنا له تلاوتين كريمتين مدة كل تلاوة نصف ساعة ولما طلب المزيد اعتذرنا له بان اذاعة بغداد لا تملك غير هاتين التلاوتين.

وكان احد رؤساء الوزارات المعروفين في طليعة المترددين على اذاعة بغداد وخاصة في الاربعينيات عندما لم تكن لدينا اجهزة تسجيل فكان يأتي ويستمع الى من يحب من الفنانين في غرفة الرقابة الاذاعية ومن

تلك الزيارات كان في احداها المرحوم يوسف عمر يقدم حفلته الغنائية وهو لما يزل مطربا ناشئا ويظهر ان رئيس الوزراء اعجب بصوته فجاء الى الاذاعة لكي يراه فقلنا له انه لا يزال يقدم وصلته الغنائية فانتظر حتى

انتهى المرحوم يوسف من حفلته الغنائية فذهب اليه في الاستوديو ليراه وسأله عن اسمه ومن سكنة اية محلة ببغداد ومتى تعلم غناء المقامات واين؟ فاجاب يوسف عمر على كل هذه الاسئلة وهو يستمع اليه

وعندها تدخل عازف القانون في فرقة الاذاعة الموسيقية وقال ان يوسف مغني مقامات وينتظره مستقبل باسم وسيكون من المغنين المشهورين فاخرج رئيس الوزراء من جيبه مظروفا يحتوي على رزمة مالية وقال لي وزع هذه على المطرب والفرقة الموسيقية وعلى افراد فرقة الإنشاد فنال يوسف خمسة وعشرين دينارا واخذ كل فرد من الموسيقيين خمسة دنانير وصار نصيب اعضاء فرقة الانشاد دينارين لكل عضو منهم.

والمعروف عن رئيس الوزراء هذا انه من محبي الاستماع الى المقام العراقي فكان المرحوم عبد القادر حسون وهو من قراء المقام يحظى باعجابه ومحبته وكان يقدم حفلته الغنائية مدة ساعة واحدة مع فرقة جالغي بغدادي وعندما ينتهي من حفلة اذاعة بغداد ياخذ فرقة الجالغي ويتجه الى بيته لاكمال بقية السهرة والمعروف انه كان يرتدي الملابس البغدادية القديمة وهي الزبون والسترة والفينة.

وذات اربعاء جاء الى الاذاعة وهو يرتدي الملابس الحديثة ويسير مختالا بها ولما سألناه عن سبب هذا التغيير في الملابس قال طلب مني رئيس الوزراء ان استبدل نمط ملابسي وقد تبرع لي بتفصيل بدلتين على حسابه.وجاءنا ذات مرة في عام ١٩٤١ قبل انتهاء حفلة المرحوم حسن خيوكة بدقائق جاء ماشيا من داره حيث كان يسكن في دور السكك المعروفة القريبة من الاذاعة في الصالحية وطلب ان يمد حسن خيوكة حفلته لما بعد الساعة العاشرة وعندما قلت له ان العاشرة موعد تقديم نشرة الاخبار قال دعه يغني واذيعوا النشرة بعدها فلبينا الطلب وخرج رئيس الوزراء مسرورا.

وكان الوصي من المعجبين باغاني ام كلثوم وسجلنا له مجموعة منها على عكس الملك فيصل الثاني الذي كان يميل الى سماع الاغاني العراقية الخاصة المقام العراقي.

مجلة الاذاعة و التلفزيون نيسان 1972

السقّة (السقاء) في بغداد

على الرغم من وقوع بغداد على نهر دجلة، وانتشار الآبار في معظم البيوت البغدادية، فقد افتقد البغداديون الماء المعقم بفقدان المديرية الخاصة بالاسالة وانعدام المجاري المطلوبة، ومن هنا اعتمادهم الكلي على السقائين وهؤلاء كانوا ينقلون الماء من الشرايع المنتشرة على ضفتي نهر دجلة بوساطة (القرب) لبيعه على البيوت . ويحمل السقاؤون هذه القرب اما على ظهور الحمير حيث يحمل كل حمار اربع قرب ، تشد كل قربتين معا من افواهها شدا محكما، وتتدلى كل قربة من جهة لتتعادل، واما ان يحملوها على ظهورهم، وفي هذه الحالة لايحمل احدهم اكثر من قربتين نظرا لبعد البيوت عن الشط ولثقل القربة وهي مفعمة بالماء.

يتعامل كل سّقة مع عدد من البيوت ويحاسب اصحابها اما اسبوعيا او شهريا ، وكان السقة يضبط حسابه مع مشتركيه (بأن يشخط على باب الحوش شخطا) واحدا عن كل قربة، او ان يتعامل معهم قنطران فاذا كان له عليهم مايوجب دفع الحساب فانهم يدفعون له عن كل قربة بيزة واحدة (وهي تساوي ربع آنة في العملة الهندية التي كانت متداولة في العراق حتى الثلاثينيات).

وللبيوت البغدادية مواضع خاصة بالقرب من باب الدار كان السقاؤون يفرغون فيها مياه قربهم، وفي ذلك مايحول دون دخولهم في البيوت، ومنهم من يسمح للسقة بالدخول حيث بيت الحبوب، او (تانكي) الماء. وللسقاء نداء معلوم، ذو نغم خاص فهو يعلن عن وجوده بقوله (هوي هي) وكان بعض اصحاب الدكاكين يتفقون مع سقاء منطقتهم باجر معلوم على رش الارض المقابلة لمتاجرهم في فصل الصيف يوم لم تكن الارض مبلطة بعد، وذلك ترقيدا للتراب في مكانه حتى لايتلف بضائعهم. واطلق البغداديون اسم (بنت السقة) على حشرة غير ضارة ذات جناحين مرقشين، كما ذكروا السقة في امثالهم فقالوا، (بيت السقة بلّيه مي) و(دقه بدقه لوزدت لزاد السقة) ولهذا المثل قصة طريفة ذات مغزى عميق فحواها، ان احد السقائين، رأى شابة جميلة في احدى الدور، فاعتقد انها كانت لوحدها في الدار فاغتصب منها قبلة، فكتمت الخبر، وانتظرت عودة زوجها من عمله، فاختلت به وطلبت منه ان يقص عليها جميع الاعمال التي قام بها منذ خروجه من البيت حتى عودته بصراحة تامة، فقص الزوج اعمال يومه كما وقعت، ومنها انه اغتصب قبلة من احدى البنات وعندئذ واجهته زوجته بقصة السقاء،وانها حديثها قائلة (دقة بدقة لوزدت لزاد السقة) فذهب قولها مثلا وتاب زوجها من الاعمال الدنيئة. ومن عادات السقائين الحسنة انهم كانوا يملأون حباب جوامع ومساجد منطقتهم بالماء مجانا تقربا الى الله عزوجل. وقد اختفى اخر سقاء عن الانظار في محلتي الجعيفر والتكارته عام ١٩٣٨ وكان اسمه قمبر. واشتهر السقاؤون بمروءتهم وعفتهم، وبهذه الاخلاق كانوا يفتحون البيوت غالبا دون استئذان، وتدليلا على مروءة السقاء روى الاستاذ عبد الحميد العلوجي بانه قرأ في احد المظان، ان محمد بن عبد الله التميمي قال: سمعت ذا النون الصوفي يقول بمصر: من اراد المروءة والظرف فعليه بسقاء الماء في بغداد، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال لما حملت الى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيدا، فمر بي رجل مئتزر بمنديل ديبقي (نسبة الى مدينة ديبق في مصر) بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط فسألت : هذا ساقي السلطان فقيل لي: لا، هذا ساقي العامة فاومأت اليه اسقني فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك فقلت لمن معي : ادفع اليه دينارا، فاعطاه فأبى وقال: لاآخذ منك شيئا!! فقلت له، لم؟ فقال: انت اسير وليس من المروءة ان آخذ منك شيئا. فقلت: كل الظرف في هذا.

وفي بغداد بعض السقائين كانوا يحملون على ظهورهم جرارا فخارية يعلقونها بسير جلدي من عراويها بحيث يرقد السير على صدره وتستقر الجرة على ظهره لتكون يداه طليقتين حتى يتسنى له ان يحمل بهما عددا من الطاسات المعدنية الصفر يضرب بعضها ببعض على وفق ايقاع موسيقي جميل ليشير نحوه انتباه الناس وهو يتجول في المحلات المكتظة بالسكان كالاسواق واضرحة الائمة حيث يؤشر الزائرون والسياح لبيع الماء على عطاشاهم وهناك من يسبّل الجرة بكاملها على (روح موتاه) لقاء مبلغ من المال، وفي هذه الحالة يوزع السقاء ماءها مجانا وهو ينادي الى ان تفرغ الجرة:(سبيل ياعطشان.. رحمة الله على من سبّل السبيل) ولازلنا نشاهد هذا السقاء في محلات كثيرة في بغداد وفي العتبات المقدسة.

وحين انشأت الحكومة العراقية مديرية اسالة الماء اصبح السقاؤون من حاملي الجرار مهددين بارزاقهم، ولاسيما اولئك الذين كانوا يطوفون على المقاهي عصرا وليلا لتقديم الماء الى الجالسين فيها لقاء اشتراك اسبوعي لهذا لجأوا الى تقديم الماء مثلجا حتى لاينصرف عنهم المشتركون، وكانت المقاهي يومئذ تقدم الماء لروادها بلا ثلج. علما ان اول ماكنة لاسالة الماء في شريعة الميدان نصبت سنة ١٩٠٧ ايام الوالي حازم بك.

وان اول ماكنة ثلج في شريعة الميدان سنة ١٨٨١م وكان الثلج حينذاك يباع بالميزان. وكان سعر الكيلو من الثلج يومذاك قرش صاغ اي مايساوي (٤٠ فلسا) تقريبا.

عن كتاب بغداديات تاليف عزيز الحجية

الصافي النجفي يستعيد ذكرياته عن بدايات الثورة العراقية

(صالون) القائممقام نبتت فيه البذرة الأولى للثورة

عبد الحميد الرشودي

كان من محاسن المصادفات ان يسكن السيد احمد الصافي النجفي عند عودته الى ارض الاستاذ حسين علي الخلف في حي المتنبي وكان هذا الصديق وقد انعقدت بينه وبين الصافي علاقة وثيقة. يحدثني عن الصافي وطراز معيشته المتسم بالبساطة والزهادة بمتع الحياة ويوافيني باخباره وقد عرض علي ذات يوم ان اصحبه الى زيارة السيد الصافي وكنت شديد الرغبة تواقا الى ذلك اللقاء!

وفي ذات يوم من ايام تشرين الثاني ١٩٧٦ ابلغني الصديق ان احضر عصرا لمقابلة الصافي فلما ازف الموعد اخذنا سمتنا الى داره المرقمة (٤) فاستقبلنا على عتبة الباب رجل قروي كان يسكن هو واسرته مع الصافي وقد اوكلت اليه خدمة الصافي فقادنا الى حجرة واسند ظهره الى الجدار وكانت امارات الاعياء بادية عليه وبعد القاء السلام اعتدل في جلسته ورحب بنا وطلب الى الرجل ان ياتينا بكرسيين للجلوس اذ لم يكن في الحجرة اثاث سوى فراشه وبعد احاديث شتى سبق ان نشرت طرفا منها في جريدة (العراق) وطويت بعضا انجز الحديث الى بدايات الثورة العراقية الكبرى في ٣٠/ حزيران ١٩٢٠ واسباب اندلاعها وعزم على ان ادون ما يقوله ولم اكن متهيئا لذلك فاستعنت ببعض قصاصات من الورق كنت احملها في جيبي فدونت ما استطعت تدوينه ولا ازعم اني استطعت تدوين كل ما فاه به الرجل وهذه شذرات مما دونته ومما علق بالذاكرة قال رحمه الله واكرم مثواه :

عندما اعلن الرئيس الاميركي ولسن شروطه الاربعة للصلح وفيها ان لكل شعب حق تقرير مصيره بنفسه فرأيت ان استغل هذا الشرط للمطالبة باستقلال العراق وكنت في كل يوم اسير على طرف سكة الحديد انا وصديقي سعد صالح الذي كان اصغر مني سنا وعلما فهو اصغر مني بثلاث سنوات ولم تكن عمليته واسعة ولكنه كان مليئا بالطموح والجرأة فعرضت عليه الفكرة فوافق عليها وبعد يومين كنا نسير قرب المحكمة الانكليزية فالتقينا بشخص يلبس البدلة الرسمية اسمر اللون بارز الوجنات فقدمني اليه وقدمه الي باسم "صالح جبر" وكان كاتبا في المحكمة الانكليزية فعرض عليه الفكرة فايدها !

عدت ليلا الى دارنا وكان يسمر عندنا كل ليلة الشيخ عبد الكريم الجزائري فعرضت الفكرة عليه وعلى اخي السيد محمد رضا فرفضا فبقيت الح عليهما وهما يرفضان وبعد خمسة ايام جاءني اخي السيد محمد رضا وهو بطل شجاع انوف فقال: "لقد ذهبت اليوم لمراجعة حاكم الكوفة العسكري بلفور لقضايا تتعلق ببستاننا في (الجعارة) فصرخ في وجهي وخرجت حانقا متذمرا!

فاستغللت ذلك باثارة الطغاة ثم جاءني بعد عشرة ايام او اكثر وقال لي: (لقد ذهبت اليوم الى (ابو صخير) لمقابلة القائممقام . وكان من عادة المراجعين ان يطرقوا الباب ثم يدخلون بلا استئذان فاراد الانكليز ترويض العراقيين وخضد شوكتهم فاسسوا صالون انتظار فيمكث المراجع وقتا طويلا حتى يؤذن له بالمواجهة ولم يكونوا يعلمون ان صالون الترويض سيكون الحقل الذي تنبت فيه بذرة الثورة العراقية ثم اردف اخي قائلا فجلست وكان امامي السيد علوان الياسري الذي صار فيما بعد اكبر زعماء الثورة فاخذ كل واحد منا ينظر الى الاخر وتفاهمنا بالنظر ثم اشار الي بالخروج فخرجت من الصالون واخذنا نتجول عند احدى السواقي فقال لي السيد علوان الياسري الى متى تبقى هذه الحالة ؟ فقلت له انا حاضر ، فقال انا مستعد ان أهيئ العشائر للثورة ولكنهم كما تعلم لا يتحركون الا بفتوى دينية وعلماء الدين عندنا لا يفهمون بالسياسة فنريد ان تكون واسطة بيننا وبينهم فتفهمهم معنى السياسة

فقلت له ما رايك بالشيخ عبد الكريم الجزائري فقال عال فوعدته خيرا قال لي اخي السيد محمد رضا انت تعرف راي الشيخ عبد الكريم الجزائري وموقفه من هذه الفكرة فقلت له سيحضر الليلة عندنا ويعيننا الله عليه فلما حضر الشيخ كعادته عرض عليه اخي الفكرة وقد قوي املي لاننا اصبحنا شخصين ازاء شخص واحد.

فلما عرضنا عليه الفكرة امسك الشيخ الجزائري بفنجان القهوة وقال هل تستطيع ان تفرغ قربة ماء بهذا الفنجان ؟ فقلنا لا فقال الشيخ فهذا حال العرب اليوم لا تسمح ظروفهم بمثل هذا العمل فبقينا نتابع مناقشته الموضوع في كل ليلة ونعيد ونبدي وبعد مرور نصف شهر تقريبا رآني الشيخ عبد الكريم الجزائري تحت سابات الملا محمود فقال لي تعال يا احمد تعال لقد كنت في كربلاء واجتمعت بالشيخ محمد تقي فأبدى استعداده للتعاون معنا فاريد ان تجمعني مع الشيخ محمد رضا الشبيبي فطلبت الى الجزائري ان يسبقني الى دارنا وذهبت من فوري الى الشيخ الشبيبي وكنت موضع ثقته وحين افضيت اليه بالحديث وعرضت عليه الفكرة قال انه لايثق بالشيخ عبد الكريم الجزائري واضرابه لانهم في رايهم رجعيون خرافيون فالححت عليه فاستجاب لالحاحي وصحبني الى دارنا فجلس معهم وافردوني في حجرة تقابل حجرة الاجتماع ولم يشركوني معهم بالحديث لعدم اطمئنانهم مني لاني كنت يومئذ شابا وبعد ان امضوا ثلاث ساعات اقبل الشيخ الشبيبي وقال لي ابشرك وكان قابضا يده انها حنطة لا شعير فقد تقرر ان اركب جملا واحمل وثائق من زعماء العراق الى الشريف حسين وهنا امسك السيد الصافي عن الحديث ثم كان ما كان مما تعرفونه ويعرفه الجميع.

وبما يلفت النظر ان الصافي كان كثير الاستظهار لشعره معتزا به وكان كلما يعرض في النقاش بيتا لشاعر ما يقول لقد قلت مثل هذا وانا امقت التقليد وشعري من وحي الطبيعة لاتكلف فيه ولا اعتسار ولقد استقطعت طرفا من تلك الابيات التي استشهد بها قال :

الله استاذي الاعلى يدرسني
لذاك يدرس عندي كل استاذ

والصافي صوفي بالفطرة وقد اعرب عن مذهبه بقوله :

تصوفي ليس عن علم ولا طرق
تصوفي رؤية الله لا علم
وهذا حق وصدق فليس التصوف في
لبس الصوف وانتعال المخصوف ونقر
الدفوف وانما هو سمو روحي كما عبر عنه الشيخ معروف الكرخي الآخذ بالحقائق وترك ما في أيدي الخلائق

وقال الصافي:

يوحد نفسك بالكائنات
من النفس آثار فكرر غرر
هي النفس اوجدت الكائنات
ففيها من النفس كل الاثر
وفي كل صنع من النفس جزء
سواء افيه اختفى ام ظهر

وقال:

كل يوم ازيح عني ثوبا
باليا من عقائد الاحقاب
آملا ان اعري النفس حقا
من لباس يشينها وحجاب
فتراني ما عشت انزع اثواب
اكاني كونت من اثواب
صرت اخشى ان انض كل ثياب
لم اصادف روحا رواء الثياب
فكأنني القشور كون منها
بصل ما به سوى الجلباب
يا دعوة للدار ما اقساها
اسمع بغداد ولا اراها

وقال:

الى الحق ادعو لا لنفسي ان اكن
نضمت قريضي او شرحت خواطري
وما اتبغى من درس شعري دعاية
ولكن (عوينات) لعمش النواظر
واني رايت الحق والفن واحدا
ولكن فن الحق ليس بظاهر
وما الفن الا الحق يبدو لناظر
ضعيف الرؤى والحق فن البصائر

رحمه الله الصافي فما كان احلى حديثه وأشهى.

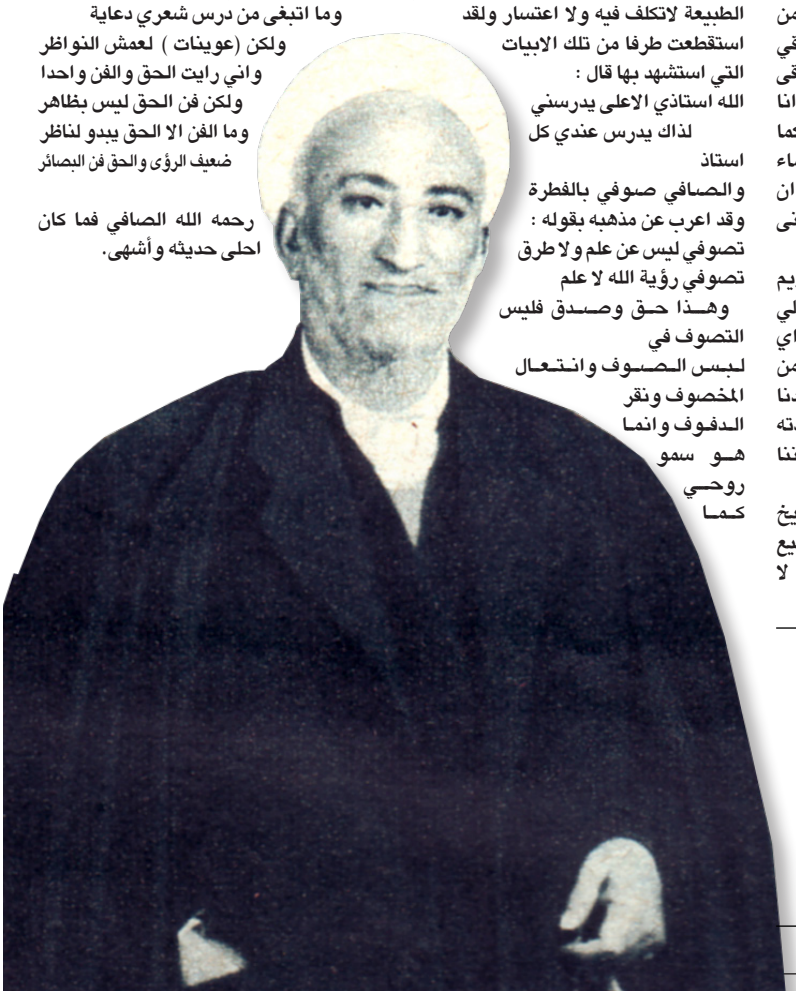

ذات يوم من ايام تشرين الثاني 1976 ابلغني الصديق ان احضر عصرا لمقابلة الصافي فلما ازف الموعد اخذنا سمتنا الى داره المرقمة (4) فاستقبلنا على عتبة الباب رجل قروي كان يسكن هو واسرته مع الصافي وقد اوكلت اليه خدمة الصافي فقادنا الى حجرة واسند ظهره الى الجدار وكانت امارات الاعياء بادية عليه

قصة شارع غازي في بغداد

لمعان عبدالرحمن

شارع غازي هو ثاني اكبر شارع من شوارع بغداد متصلا بالفرع المقابل لسوق الشورجة، وفيه تجار المواد الغذائية وتجار السكائر المتنوعة من عراقية وعربية واجنبية وبعلامات معروفة او غير معروفة، والتي وصلت الى السوق بالطريق الرسمي او عن طريق التهريب "سيكاير لا يعلم الا الله ماذا تحمل من اضرار مضافة الى الاضرار المعروفة عن السيكاير" ثم لا يفارقك باعة السيكاير بالجملة والمفرد الا بعد ان تطل على (شارع غازي) الذي يملأه المتعاملون بالدولار والذين تعرفهم من رزم النقود التي يحملونها بايديهم ويلوحون بها في الفضاء امام انظار اصحاب السيارات المارة بين الزحام في الشارع. حيث ان تجارة السيكائر تباع بالعملة الاجنبية ومنها ما يباع بالعملة العراقية. وكثيرا ما نرى حالة الارباك التي يعيشها الشارع بسبب الزحام والذي يخلقه المتعاملون بتبديل العملات الاجنبية، خصوصا ان مناطق سكنية شعبية تقع على امتداد الشارع الذي اصبحت تسميته بانه شارع رجالي فتجد المرأة حرجة عند المرور فيه، لذا فالنساء يسلكن الدرابين داخل المحلات ويخرجن عن طريق شوارع اخرى تفاديا للمرور بهذا الشارع. وقد اضحت الرصافة مهيأة لتوسع حضري رئيس، بعد ان هدم مدحت باشا سور بغداد عام ١٨٦٩ وانشاء السدة عام ١٩١٧ لحماية بغداد من الفيضانات لذا شهد شارع الرشيد عام ١٩١٥ واكمله الانكليز عام ١٩١٨ اراضي واسعة على اطراف منطقة الرصافة، حيث كانت خالية من التطوير وأضحت بمنأى عن خطر الفيضان "العلوية" معسكر الهنيدي "الرشيد" وبذلك تم استحداث نقطة جذب في اتجاه الجنوب وفي الوقت نفسه استحدث ربط جديد مع الكرخ اذ شيد جسر مود "الاحرار حاليا" عام ١٩١٨ فساعد على توسع الكرخ بما في ذلك منطقة السكك في الصالحية، واثر انهاء الانتداب البريطاني عام ١٩٣٢، كانت الحكومة العراقية تواقة الى تطوير بغداد بصيغة مدينة حديثة على غرار الانموذج الاوربي، حيث أعد تصميم اساس عام ١٩٣٥ اقترح من بين جملة اشياء فتح شوارع عريضة واسعة اثنان منها تم فتحهما مباشرة وهما شارعا غازي والشيخ عمر عام ١٩٣٦، وفي عام ١٩٥٤ شق شارع عريض وسط الرصافة اطلقت عليه شارع الخلفاء "الملكة عالية" ثم الجمهورية قبل اطلاق التسمية الجديدة، وقد ساعدت الشوارع المستحدثة في استمرار نحو المدينة الطولي على امتداد مسار النهر. كما ان شارع غازي (الكفاح) يحتفظ بطبيعة ميزته عن سواه من الطرق المستحدثة في منطقة الرصافة القديمة وتتمثل في حفاظه على الاستعمالات السكنية، الى جانب الاستعمالات التجارية المستحدثة، وقد ظهر فيه التحول المميز من نمط السكن المنفرد الى نمط السكن المتعدد الطوابق "الشقق السكنية". ومن أشهر المناطق التي يخترقها شارع غازي مجيد كنّه، وهو رجل اعدمه الانكليز اثناء احتلالهم بغداد وقبره موجود في مقبرة "الشهداء الاتراك"، وكان ينتسب الى ست هدية، وفاضل عباس المهداوي، صاحب المحكمة الشهيرة في تاريخ العراق السياسي الحديث، كان ينتسب الى محلة المهدية والتي كان من سكنتها ايضا "بيت بنية وبيت النائب" وفي المهدية دربونة اسمها دربونة اسطة نصر ذكرها فيلكس جونز ضابط الاستخبارات الانكليزي قبل ٢٠٠ سنة. أما المحلات البارزة في تلك المنطقة فمنها خان اللاوند وحمام المالح وست هدية وسيد عبدالله والفضل والجوبة والطوالات وفضوة قره شعبان والكولات وابو دودو كما ان اضرحتها قنبر علي وابو سيفين وسراج الدين والالفي والشيخ عبدالقادر الكيلاني. الا ان هناك استغرابا للشيخ جلال الحنفي حول اطلاق تسمية "الكفاح" على هذا الشارع، بالرغم من انه لم تظهر على هذا الشارع اي صورة من صور الكفاح المسلح او السلمي، لذا فان اعادة تسميته بشارع غازي سّر الجميع من موتى وأحياء لان الملك غازي كان محمود السمعة وقد قتل مظلوما، كما انتقد نظام السير فيه مطالبا ان يكون ذا ممرين بدلا من ممر واحد لاتساع عرضه. اذن فهذه هي قصة شارع من اهم شوارع بغداد هو شارع غازي في بغداد

مجلة الف باء ، العدد1549
لسنة 1998/6/3.

عندما تحولت عفيفة اسكندر الى صحفية

بغداد/ من مندوب الكواكب الخاص

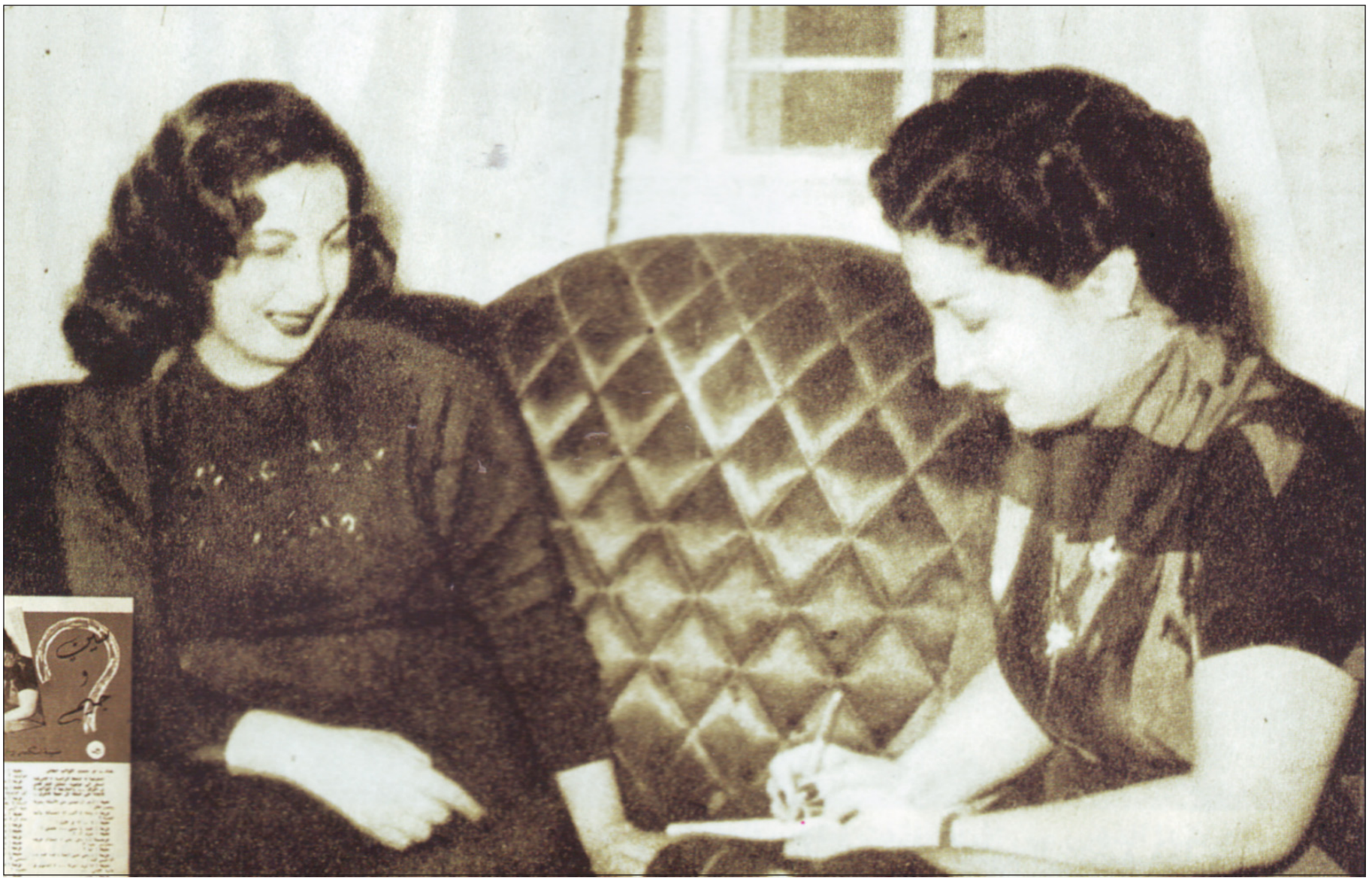

عفيفة اسكندر تكتب اجابات عزيمة توفيق

اختارت مجلة الكواكب المصرية المطربة عفيفة اسكندر لتجري حوارا مع الممثلة العراقية عزيمة توفيق تنشر نص الحوار اختارتهما "النقطة الرابعة" الاميركية للسفر الى هوليوود لتمثيل فيلم قصير عن العراق.. واختارتهما "الكواكب" للاجابة على اسئلة كل منهما للاخرى.

عفيفة: ارجو ان تجيبي على الاسئلة بسرعة وبدون تفكير!

عزيمة: ولماذا لا اكون انا السائلة وانت المجيبة؟

عفيفة: لا... انا في الاول!

عزيمة: طيب يا ستي... تفضلي!

عفيفة: عمرك كم؟

عزيمة: (وهي تغني) سؤال غريب ما جاوبش عليه!!

عفيفة: ليه؟

عزيمة: (وهي تغني ايضا) كده كده... انا طبعي كده!

عفيفة: انا اريد اجوبة.. لا الدخول في قافية الاغاني..

عزيمة: حاضر!

عفيفة: وليه عملتي ارتست؟

عزيمة: قضاء وقدر..

عفيفة: ولو لم تكوني "ارتست" ماذا كنت تتمنين ان تكوني؟!

عزيمة: بردو ارتست!

عفيفة: ولماذا؟

عزيمة: لانني خلقت في جو فني ونشأت والفن في دمي، ثم احب الفن واهل الفن ومجلات الفن!

عفيفة: هل مثلت في السينما قبل الان!

عزيمة: نعم.. مثلت في السينما قبل الان!

عزيمة: نعم... مثلت الدور الاول في اول انتاج سينمائي في العراق وهو فيلم "عليا وعصام".. هل تذكرينه؟!

عفيفة: نعم، لكن هل تعتقدين انك نجحت؟

عزيمة: نجحت محليا!!

عفيفة: وهل تعتقدين انك تنجحين في هوليوود؟

عزيمة: هذا ليس كثيرا على الله!

عفيفة: وهل تعودين الى العراق اذا سافرت الى هوليوود؟

عزيمة: طبعا ارجع.. هل سمعت ان انسانا لا يحب ان يرجع الى وطنه مهما طال عليه الزمن؟

عفيفة: واذا طلبت الشركات السينمائية منك إلاّ تعودي؟

عزيمة: لوقتها فرج!

عفيفة: ما اول اغنية لك؟

عزيمة: والله ماني فاكرة!

عفيفة: واحب اغنية الى قلبك؟

عزيمة: يا ولد يا اسمر يابو شامه!

عفيفة: أي المغنين المصريين تحبين ان تسمعي؟!

عزيمة: طبعا ام كلثوم ومن الرجال كارم محمود!

عفيفة: ومن تحبين من الممثلين؟

عزيمة: زكي رستم وعباس فارس ثم معبودتي الفاتنة فاتن حمامة!

عفيفة: اي نوع من الرجال تفضلين؟

عزيمة: الرجل القوي الشديد!

عفيفة: ولماذا لم تتزوجي حتى الان؟

عزيمة: ايه؟ انت فاكراني كبيرة في السن.. انا عمري عشرين سنة بالتمام والكمال!

عفيفة: وهذا عز الزواج..

عزيمة: طيب انا اقدر اسألك نفس السؤال لماذا لم تتزوجي حتى الان؟

عفيفة: انا متزوجة فعلا

عزيمة: متزوجة؟ ممن؟

عفيفة: الفن!

عزيمة: بالضبط.. وانا تزوجت الفن ايضا!!

عفيفة: عال.. يعني احنا ضرايز..

(وهنا امسكت عزيمة القلم والورق وبدأت تسأل)

عزيمة: وانت عمرك كم؟

عفيفة: قديمة..

عزيمة: طيب ونفسك في ايه؟

عفيفة: نفسي اوصل لهوليوود والسما زرقا!!

عزيمة: وهل سبق ان مثلت في السينما؟

عفيفة: نعم.. في فيلم "القاهرة – بغداد" مع مديحة يسري وحقي الشبلي..

عزيمة: وهل نجح الفيلم؟

عفيفة: طبعا لا... لو نجح لمثلت فيلما ثانيا وثالثا وعاشرا ايضا ولكن ايش نعمل في البخت والنصيب!!

عزيمة: معليش يا اختي شدي حيلك!

عفيفة: انا شديته من زمان!

عزيمة: وهل تعتقدين انك ستنجين في هوليوود؟

عفيفة: وصليني الى هناك اولا ثم اسأليني!!

عزيمة: ما اشهر اغنياتك؟

عفيفة: في مصر اغنية "عمي يا بياع الورد"!!

عزيمة: وفي العراق؟

عفيفة: برضة "عمي يا بياع الورد"!

عزيمة: هل تحبين النكت؟

عفيفة: طبعا...

عزيمة: هل تسمحين وتذكرين لنا النكت التي سمعت بها اخيراً؟

عفيفة: ذاكرتي ضعيفة لا احفظ شيئاً...

عزيمة: طيب، وما اعز امنية لديك؟

عفيفة: ان تقفلي الاسئلة والاجوبة، وتروحي بيتكم بقى!!

(وقامت عفيفة توصل زائرتها الكريمة مودعة اياها بالتمنيات الطيبة)

مجلة الكواكب
1961-1-3

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب